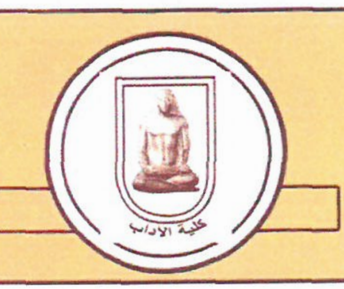
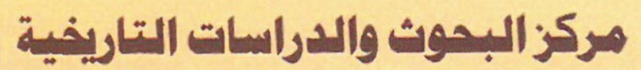
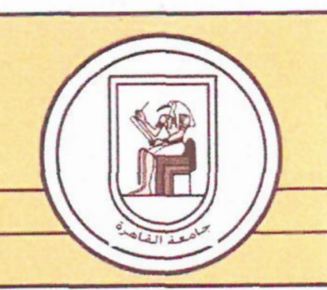
مركز البحوث والدراسات التاريخية



حوليات





تصدر عن مركز البحوث والدراسات التاريخية
كلية الآداب - جامعة القاهرة

البحث الأول

العلاقات السياسية بين العثمانيين والصفويين منذ قيام الدولة الصفوية حتى معركة جالديران

(٩٠٧ - ٩٢٠هـ / ١٥٠٢ - ١٥١٤م)

البحث الثاني

الأثر التجاري للاستيطان الصليبي في بلاد الشام

د. نايف عيد السهيل
كلية التربية الأساسية - الكويت

نوفمبر ٢٠٠٩م - ذو القاعدة ١٤٣٠هـ

حوليات
مركز البحوث والدراسات التاريخية

دورية علمية محكّمة تصدر عن مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب – جامعة القاهرة وتتضمن مجموعة من الرسائل التى تُعنى بمجالات الدراسات التاريخية والحضارية .

رقــم الإيـــــداع ٧٣٤٧ / ٢٠٠٢

الترقيم الدولى 2477 - 222 - 977

قواعد النشر فى
حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية

١) تهتم "وقائع تاريخية" بنشر الدراسات والبحوث المتخصصة فى التاريخ والحضارة ذات المستوى الرفيع، والتى تخضعها هيئة التحرير للتحكيم العلمى، وفقاً للقواعد المعمول بها فى المجلات العلمية المتخصصة. كما تهتم بنشر عروض للكتب حديثة الإصدار، والندوات المتخصصة.

٢) تقبل "وقائع تاريخية" البحوث والدراسات المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية فى حدود ٣٠ صفحة مسجلة على قرص مرن وفق برنامج (word) مع ثلاث نسخ ورقية حجم (A4) بما فى ذلك الهوامش وقائمة المراجع، على أن تكتب الهوامش فى نهاية البحث.

٣) تعتذر "وقائع تاريخية" عن نشر البحوث والدراسات المنشورة والمقدمة للنشر فى مجلات علمية أخرى.

٤) للمجلة حق التصرف المادي دون الأدبي فيما ينشر بها من البحوث، ويكون لها الحق في إعادة نشر البحث منفصلاً أو ضمن مجموعة من البحوث بلغته الأصلية أو مترجمًا إلى أي لغةٍ أخرى وبأي وسيلة نشر دون حاجة إلى استئذان صاحب البحث.

٥) النشر فى "وقائع تاريخية" متاح للمهتمين بالتاريخ والحضارة، وبخاصة أعضاء هيئة التدريس بالجامعات المصرية والعربية والأجنبية.

٦) البحوث التى تنشرها وقائع تاريخية، والآراء الواردة بها، تعبر عن وجهة نظر أصحابها، وهيئة التحرير غير مسئولة عنها.

المراسلات : ترسل البحوث والدراسات باسم أ.د. وجيه عبد الصادق عتيق مدير مركز لبحوث والدراسات التاريخية ورئيس تحرير وقائع تاريخية على العنوان التالى :
كلية الآداب -- جامعة القاهرة – بريد الأورمان – الجيزة.

All correspondence to be directed to : Editor- in chief- Prof.Dr. Wageh Abdel Sadek Atek , Cairo University, Faculty of Arts, Orman, Giza, A.R.E.

e.mail. wageh_atek@hotmail.com

تقديم

مما لاشك فيه أن مركز البحوث والدراسات التاريخية بكلية الآداب- جامعة القاهرة قد أصبح اليوم أوسع انتشاراً بين جموع الدارسين وأغزر إنتاجا فى مجال البحث العلمى حيث استطاع المركز نشر دورياته بصفة منتظمة سواء مجلته الشهيرة "وقائع تاريخية" أو حوليته الأشهر، التى يشرفنا هنا تقديم هذا العدد الجديد منها الذى يتضمن نشر بحثين متميزين، يختص أولهما بدراسات العلاقات السياسية بين العثمانيين والصفويين منذ قيام الدولة الصفوية حتى معركة جالديران، حيث يتعرض هذا البحث لمرحلة مهمة وخطيرة فى علاقة إيران بالدولة العثمانية وبخاصة الصراع العسكرى بين الدولتين والذى استمر حتى نهاية معركة جالديران ٩٠٧-٩٢٠هـ/١٥٠٢-١٥١٤م.

أما البحث الثانى فيهتم بالأثر التجارى للاستيطان الصليبى فى بلاد الشام، وبخاصة فى المنطقة الساحلية التى كانت تعد بمثابة جسر الاتصال بين الصليبيين فى بلاد الشام وبين موطنهم فى أوربا، وتتجلى أهمية الموضوع فى أن التجارة كانت محور النشاط الاقتصادى فى تلك المنطقة الحيوية وبخاصة فى المراكز التجارية فى عكا وصور وبيروت وطرابلس، وما ترتب عليه من قيام منشآت هامة بالساحل جلها منشآت تجارية مثل الفنادق والخانات والقيساريات، والتى أحاطت بها القلاع والحصون، وقد عبر البحث بجلاء عن تلك الثورة التجارية فى الساحل الشامى فى العصور الوسطى.

ونحن هنا نترك للقارئ الكريم، قراءة هذه الحولية المتميزة والتى تحتوى على هذين الموضوعين المهمين، والمركز على ثقة أن هذه الحولية سوف تكون إضافة قيمة للمكتبة التاريخية.

وفى الحقيقة أتوجه هنا إلى إدارة كلية الآداب بجامعة القاهرة على دعمها المتواصل لكل أنشطة مركز البحوث والدراسات التاريخية.

مدير المركز

أ.د. وجيه عبد الصادق عتيق

البحث الأول

العلاقات السياسية بين العثمانيين والصفويين منذ قيام الدولة الصفوية حتى معركة چالديران (٩٠٧-٩٢٠هـ/١٥٠٢-١٥١٤م)

العلاقات السياسية بين العثمانيين والصفويين
منذ قيام الدولة الصفوية حتى معركة جالديران
(٩٠٧-٩٢٠هـ/١٥٠٢-١٥١٤م)

﴿مقدمة﴾

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.... ،

فإن البحث في تاريخ المشرق الإسلامي من الأهمية بمكان؛ ذلك لأن هذه المنطقة من العالم الإسلامي لم تحظ بما حظيت به مناطق أخرى من التحليل والدراسة، فضلا عن أن المرحلة التاريخية التي تعرض لها هذا البحث مرحلة مهمة وحاسمة في تاريخ المسلمين.

وأهمية تلك الفترة تتمثل في بزوغ نجم الدولة الصفوية القوية التي استطاعت أن تبسط سيطرتها على الهضبة الإيرانية، وتمكنت من فرض المذهب الشيعي الاثنى عشري على الإيرانيين، وأحدثت بذلك تغيرًا مهما وخطيرًا في المحيط السني؛ فقد كانت إيران قبل الصفويين دولة سنية تربطها علاقات ثقافية وسياسية بالدول الإسلامية السنية التي تحيط بها.

لكن مع ظهور الصفويين تبدأ صياغة جديدة لعلاقة إيران الشيعية بالدول السنية المجاورة لها؛ فقد كان العثمانيون يجاورنها من ناحية الشمال الغربي، ودولة الأوزبك القوية من ناحية الشمال الشرقي فضلا عن بقية الحكومات السنية الموزعة في شبه القارة الهندوباكستانية في الشرق من إيران، والأخرى الموجودة في الغرب منها.

وقد تطرق هذا البحث لمرحلة مهمة وخطيرة في علاقة إيران السياسية بالدولة العثمانية في آسيا الصغرى، فقد تشكلت في هذه الفترة علاقة إيران بالدولة العثمانية، فضلا عن أن ما جرى من صراع بين الطرفين في هذه الفترة أعتبر

بداية لمراحل طويلة من الصراع استمرت حتى نهاية الصفويين في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي.

يتألف هذا البحث من تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، تحدثت في التمهيد عن الدولتين العثمانية والصفوية، مبينًا كيف وصلت الأولى إلى قمة مجدها وازدهارها في تلك الفترة، وكيف ولدت الثانية من رحم جماعة صوفية لها مريدوها وأتباعها في شمال غرب إيران.

وجاء المبحث الأول ليعرض للعلاقات السياسية السلمية التي قامت بين الدولتين في عهد الشاه إسماعيل والسلطان بايزيد الثاني. وقد عرضت فيه لبعض القضايا التي ثارت بين الدولتين وكيف عالجها حكام الدولتين في ذلك الوقت، وختمت البحث بالإشارة إلى بعض الأحداث التي أسهمت في بداية التوتر في علاقة كلتا الدولتين.

أما المبحث الثاني فقد جاء تحت عنوان " إرهاصات الصراع العثماني — الصفوي" وعرضت فيه للنزاع الذي دار بين أبناء بايزيد لتولى الحكم، والعلاقات بين السلطان سليم الأول والشاه إسماعيل، كما تناولت فيه أسباب الصراع العثماني — الصفوي.

وجاء المبحث الثالث ليعرض لمعركة چالديران التي مثلت قمة التوتر في العلاقات السياسية بين الدولتين، فتحدثت عن الأحداث التي سبقت قيامها، وعن النتائج التي تمخضت عنها سواء للعثمانيين أو للصفويين. ثم جاءت الخاتمة لتعرض لأهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة.

أرجو أن أكون قد وفقت في إلقاء الضوء على جانب مهم من جوانب تاريخ الدولتين الكبيرتين: العثمانية والصفوية، وأتمنى أن تنصرف همم الباحثين إلى النظر في تاريخ المشرق الإسلامي ودراسة أحداثه؛ لأنه ما زال بحاجة إلى مزيد من الدراسات الجادة النافعة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الصفويون والعثمانيون: ظهور وازدهار [1]

تجاورت في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ثلاث دول كبرى في المشرق الإسلامي هي: الدولة الصفوية في إيران، والدولة العثمانية في آسيا الصغرى، ثم دولة المماليك ([2]) في مصر والشام والحجاز .

والدولة الصفوية دولة تركية – على أرجح الأقوال [3] – يعود نسبها إلى الشيخ صفي الدين الأردبيلي (ت٧٣٥هـ/١٣٣٤م) الذي كان واحدا من أكبر الصوفية في عصره، وكانت له منزلة كبيرة لدى الساسة والحكام في ذلك الوقت.

كان صفي الدين الأردبيلي زعيما لإحدى الطرق الصوفية في شمال إيران وكان أتباعه ينتشرون في معظم أقاليم إيران وفي خارجها أيضا [4]، وقد توارث أبناؤه من بعده زعامة هذه الطريقة، وكانوا يسيرون على نهجه في عدم الاشتغال بالسياسة، وعدم الرغبة في السيطرة والتسلط.

لكن الأمور قد تغيرت في الأسرة الصفوية بعد أن تولى زعامتها الشيخ "جنيد بن إبراهيم بن خواجه على بن صدر الدين موسى بن صفي الدين الأردبيلي" (ت٨٦٠هـ/١٤٥٦م)؛ فقد أحدث هذا الرجل تحولات كبيرة في الأسرة الصفوية كان أولها أنه غير لقبه من " شيخ " إلى "سلطان "[5]، وهذا – ولا شك – يحمل دلالة سياسية واضحة ، وهى الرغبة في الزعامة والسيطرة.

أيضا من التحولات المهمة والخطيرة التي أحدثها " جنيد " داخل الأسرة الصفوية أنه تحول من المذهب السني إلى المذهب الشيعي الاثنى عشري، وأمر مريديه وأتباعه بأن يتحولوا إليه، وهذا يعنى أنه قام بمحاولة ناجحة دمج فيها التصوف والتشيع، فتحول وحول مريديه إلى المذهب الشيعي بسهولة ويسر[6].

أما التحول الثالث في الأسرة الصفوية فكان التحول من أسرة صوفية لا شأن لها بالسياسة والحروب إلى فرقة عسكرية تخوض المعارك من أجل أن تكون كيان سياسي لها، فقد كان "جنيد " يطمح في تأسيس دولة للصفويين على حساب الدول الحاكمة في إيران في تلك الفترة وهى دولتا القراقويونلو ، دولة الآق قويونلو[7]

اللتان كانتا تتقاسمان حكم إيران في تلك الفترة.

بدأ " جنيد" أولى محاولاته العسكرية الرامية إلى تأسيس ملك الصفويين بإعلان الحرب ضد أقاليم جرجستان وداغستان وبلاد الجركس الواقعة في شمال غرب إيران، وأعلن أن هذه الحرب – وهى ضد أهل هذه البلاد المسيحيين – جهاد في سبيل الله، لكن في واقع الأمر كان الهدف منها سياسيا محضا كما ذكرت المصادر(٨).

اتجه " جنيد " بجيش قوامه عشرة آلاف لحرب تلك البلاد، لكنه وهو في الطريق اصطدم بجيش حاكم إقليم " شيروان" الواقع في شمال إيران، ودارت معركة بين الفريقين قتل فيها " جنيد"، وهزم أتباعه بعد أن قاتلوا قتالا مجيدا. وقد مثلت هذه الحرب أول ظهور عسكري وحربي للأسرة الصفوية، كما كانت بداية مرحلة جديدة للأسرة الصفوية أصبح فيها الغزو سياسة ثابتة(٩).

تولى السلطان "حيدر" زعامة الأسرة الصفوية بعد مقتل والده، وبعد توليه أمر أتباعه بارتداء غطاء للرأس له اثنتا عشرة ذؤابة كناية عن الأئمة الاثنى عشر(١٠)، وقد لقب أتباعه منذ ذلك الوقت بالقزلباش، وهى كلمة تركية تعنى: الرأس الحمراء. وقد كان لهؤلاء الأتباع دور مهم في قيام الدولة الصفوية على يد الشاه إسماعيل الصفوى بعد ذلك.

واصل " حيدر" سياسة أبيه في الغزو، ولكنه كان أكثر توفيقا من أبيه؛ فقد انتصر في معركتين خاضهما في " قفقاسيا " عامي ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م، و ٨٩٢هـ/١٤٨٧م(١١)، غير أنه اصطدم في عام ٨٩٣هـ/١٤٨٨م بجيش حاكم إقليم شيروان؛ وذلك لكون هذا الإقليم واقعا في الطريق الذي تسلكه الجيوش الصفوية، وانتهت المعركة بانتصار حاكم شيروان، ومقتل السلطان "حيدر"(١٢).

آلت زعامة الأسرة الصفوية بعد ذلك إلى إسماعيل بن حيدر، وكان مايزال طفلا صغيرا، فضلا عن كونه مطلوبا من حكام أسرة الآق قويونلو المسيطرة على إيران في ذلك الوقت؛ وذلك لكونه وريث الصفويين الراغبين في تكوين دولة لهم في ايران، ولهذا قام أتباعه بإخفائه في بلدة " لاهيجان" الواقعة في إقليم " جيلان "

الواقع في شمال إيران[١٣].

أقام إسماعيل في "لاهيجان" حتى عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م، وكانت تلك المدة بمثابة إعداد له على المستوى العلمي والعسكري، وكان المريدون يفدون إليه في سرية تامة، وبدأت في الأفق إرهاصات تجمع صفوي يرغب في تحقيق أهداف مذهبية وسياسية معينة[١٤].

كانت الحياة السياسية في إيران في تلك الفترة مهيأة لاستقبال وافد جديد عليها؛ فقد كانت الأوضاع في البلاد شديدة السوء نتيجة الصراعات المتواصلة بين أبناء أسرة الآق قويونلو، ولذلك قرر كبار مريدي الصفويين الخروج من لاهيجان ومعهم إسماعيل وذلك لتحقيق حلم الصفويين في تأسيس دولة لهم، فخرجوا منها في عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م[١٥]، واتجهوا إلى أردبيل ـ المقر الروحي للصفويين ـ وذلك حتى يتسنى لهم جمع المريدين وتكوين الجيش الذي يمكنهم من تحقيق الهدف الذي خرجوا من أجله[١٦].

في أواخر صيف عام ١٥٠٠م كان عدد المريدين الذين اجتمعوا حول إسماعيل قد بلغ حوالي سبعة آلاف، وقد أغرى هذا العدد إسماعيل بالتحرك للانتقام ـ أولا ـ من حاكم شيروان الذي قتل أباه وجده، وثانيا لتحقيق رغبة الصفويين في إقامة دولتهم، وقد تمكن إسماعيل من إلحاق الهزيمة بحاكم شيروان، والاستيلاء على هذا الإقليم وعلى بعض القرى المحيطة به، وقد عُد هذا النصر الخطوة الأولى في تأسيس الدولة الصفوية القوية[١٧].

أكسب هذا الانتصار إسماعيل قوة وجرأة، فلم يعبأ برسائل " ألوند ميرزا " حاكم الآق قويونلو التي تدعوه إلى التوقف عن التحرك في البلاد، ولذلك لم يجد حاكم الآق قويونلو أمامه سوى الدخول في حرب مع إسماعيل ومريديه، وكانت حربا عنيفة أظهر القزلباش فيها ضروبا من الشجاعة والفداء ـ على الرغم من الفارق الكبير بين قوة وعدد الجيشين ـ ، لكن النصر قد تحقق في النهاية لإسماعيل وجنوده، وقتل من جيش " ألوند ميرزا " حوالي ثمانية آلاف جندي كان منهم أعاظم قادته وأمراء جيشه[١٨].

أسرع إسماعيل بعد ذلك بالتحرك صوب مدينة " تبريز " عاصمة إيران في ذلك الوقت، ودخلها دخول الفاتحين المنتصرين، ولقب بأبي المظفر شاه إسماعيل الهادي الولي وذلك في عام ٩٠٧هـ/١٥٠٢م، وأصدروا السكة باسمه. وكان أول قرار اتخذه الشاه إسماعيل بعد أن جلس على عرش البلاد إقرار المذهب الشيعي الاثنى عشري مذهبا وحيدا لدولته، وفرضه على رعيته بالقوة الغاشمة. كما أمر الشاه أن تزاد في الأذان عبارة " أشهد أن عليا ولى الله"، وعبارة " حي على خير العمل"، كما أمر الناس أن يلعنوا الخلفاء في مجالسهم وطرقهم(١٩).

وهكذا قامت الدولة الصفوية في إيران بقيادة الشاه إسماعيل الصفوى، واستطاع هذا الفتى الصغير أن يخوض حروبا متتالية من أجل توحيد البلاد وتكوين دولة قوية موحده الأقاليم، وتم له كل ما أراد، فقد استطاع أن يبنى دولة قوية ، أخضع فيها كافة القوميات الإيرانية، واستطاع أن يجمع الناس تحت عباءة مذهب واحد هو المذهب الشيعي ، كما شملت دولته رقعة واسعة من الأرض فاقت مساحتها الدولة الساسانية القوية(٢٠).

أما العثمانيون فإن أصولهم تعود إلى قبيلة تركية تسمى " قابى "، وقد خرجت تلك القبيلة من أواسط آسيا متجهة إلى الغرب تحت قيادة " أرطغرل"، واستطاعت أن تنال ثقة "علاء الدين" سلطان سلاجقة الروم بعد أن ساعدته في حربه مع البيزنطيين عام ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م، فكافأهم بأن أقطعهم منطقة تابعه له في شمال غرب الأناضول على الحدود البيزنطية ـ السلجوقية، لكن " أرطغرل" لم يقنع بذلك، وبدأ في التوسع في أملاك البيزنطيين تحت اسم السلاجقة. ولما مات عام ٦٨٧هـ/١٢٨٨م خلفه ابنه " عثمان " في الحكم، وهو الذي تنسب إليه الدولة، واستكمل سياسة أبيه في التوسع وكذلك أبناؤه حتى أصبحت الإمارة الصغيرة دولة كبيرة مترامية الأطراف امتدت أقاليمها في آسيا وأوروبا ثم في إفريقيا(٢١).

وقد بلغت الدولة العثمانية قمة مجدها السياسي وأوج ازدهارها وعظمتها في عهد السلطان "محمد الفاتح " ـ سابع سلاطين العثمانيين (٨٥٥هـ ـ ٨٨٦هـ/ ١٤٥١ـ ١٤٨١م) والذي حاز على لقب "الفاتح" عن جدارة بفتحه استانبول وقضائه على إمبراطورية الروم الشرقية، فسلم الأعداء قبل الأصدقاء بكفاءته

العسكرية، ودهائه السياسي. وقد قضى في مقام السلطنة نحو ثلاثين عاما، وخرج خلالها بنفسه على رأس خمسة وعشرين حملة عسكرية، وألحق بالأراضي العثمانية ثمانية عشر إقليما جديدا[٢٢].

وعلى ذلك يعتبر الفاتح مؤسسا للدولة العثمانية في عصر الإمبراطورية ، فقد استمرت غزواته شرقا وغربا وشمالا دون أن تتوقف على مدى ثلاثين عاما، وكان أهم تلك الغزوات والفتوحات فتحه لعاصمة البيزنطيين " القسطنطينية "، فقد استمر حصاره لها حوالي ثلاثة وخمسين يوما (من ٦ أبريل حتى ٢٩ مايو سنة ١٤٥٣م/٨٥٧هـ)، بقوات بلغ عددها أكثر من ربع مليون جندي، واستطاع في ظهر يوم ٢٩ مايو دخول القسطنطينية من البوابة الرئيسية، وصلى صلاة الظهر في كاتدرائية القديسة صوفيا إيذانا بتحويلها إلى مسجد، وأطلق على المدينة إسلامبول أو استانبول أي عاصمة الإسلام[٢٣].

لقد بلغت الدولة العثمانية مبلغا عظيما من التحضر والمدنية في عهد الفاتح؛ فقد حرص على جعل استانبول مدينة عالمية، فأنشأ فيها عددا كبيرا من المؤسسات الثقافية والاجتماعية، وأمر ببناء الكثير من المدارس الشهيرة، كما أمر بتدوين القوانين العثمانية التي كانت تطبق حتى عصره تحت اسم " قوانين آل عثمان "، حيث أضاف إليها القوانين التي أصدرها في عهده تحت اسم " فاتح قانون نامه سي "[٢٤].

أما بخصوص علاقة الفاتح بإيران فإنها اتسمت في أغلب أوقاتها بالتوتر والصراع؛ فقد كان هناك صراع دائر بينه وبين " أوزون حسن" زعيم أسرة الآق قويونلو حول ضم مدينة " طرابزون" آخر معاقل البيزنطيين في آسيا الصغرى وحسم في النهاية لصالح " محمد الفاتح " حيث استطاع أن يستولى على المدينة بعد أن هزم " أوزون حسن " في عام ٨٧٧هـ/١٤٧٣م[٢٥].

تولى بعد وفاة الفاتح ابنه السلطان بايزيد الثاني (١٤٨١ ــ ١٥١٢م/٨٨٦ ــ ٩١٨هـ)، وكان يبلغ من العمر عند وفاة والده ٣٤ عاما، وكان بايزيد لا يميل إلى الحروب والصراعات، ويفضل العلوم والآداب، ولذلك سماه بعض مؤرخي الترك "بايزيد الصوفي " [٢٦]، ولذلك كان طبيعيا أن يسود جو من الهدوء والسلام على

علاقة دولته بحكومة الآق قويونلو بإيران، لكن الأمور قد تغيرت بعد قيام الدولة الصفوية، وهذا ما ستوضحه المباحث القادمة.

المبحث الأول : العلاقات السلمية بين العثمانيين والصفويين

تعتبر الفترة التي ظهر فيها الشاه إسماعيل الصفوى في إيران من الفترات التي قلت فيها المعارك العسكرية في الدولة العثمانية، وذلك لطبيعة بايزيد المسالمة، فضلا عن ما اشتهر عنه من بغضه للحروب وإراقة الدماء، وزهده في الدنيا. بينما كان إسماعيل شابا متحمسا قويا ينشر معتقداته وأفكاره ويثبت دعائم ملكه بحد السيف(٢٧).

وقد رأى السلطان بايزيد أن الدولة الصفوية صارت واقعا ملموسا، وأن على الدولة العثمانية أن تحدد موقفها منها، فإما أن تستمر العلاقة السلمية بين دولته السنية وبين ايران بزعامة الشاه الشيعي، أو أن يقطع هذه العلاقة ويحل محلها النزاع والصراع.

والحاصل أن بايزيد اختار الحل الأول وهو بقاء العلاقات السلمية بينه وبين الإيرانيين، ولذلك أرسل سفيرا من قبله في عام ١٥٠٤م ومعه رسالة تتضمن تهنئة للشاه بجلوسه على العرش، بالإضافة إلى الكثير من الهدايا والنفائس. ولم ينس بايزيد أن يقدم النصح لإسماعيل في تلك الرسالة بأن يكف عن قتل السنة في إيران، وأن يترك التعصب مذهبه الشيعي(٢٨).

وفي المقابل اختار إسماعيل الحل ذاته، وهو بقاء علاقته بالعثمانيين على حالتها السلمية؛ لأنه رأى أنه ما يزال بحاجة إلى خوض الحروب في داخل إيران لتوحيدها تحت حكمه، وأن بقاء علاقته السلمية مع الجهات الخارجية ومنها العثمانيين يضمن له التفرغ لأعدائه في الداخل، ولذلك أكرم رسول بايزيد، وأرسل معه رسالة تفيض بالود وإظهار الصداقة، ومعها أيضا الكثير من الهدايا التي تعبر عن تقديره للسلطان العثماني(٢٩).

أتباع الصفويين في الأناضول وموقف بايزيد منهم:

سبق أن ذكرنا في التمهيد أن السلطان " جنيد " جد الشاه إسماعيل الصفوى قام بتحولات كثيرة في فكر وأسلوب الطريقة الصفوية في إيران، وقد أدى بعض هذه التحولات إلى قلق الحكام منه ومن طريقته فأمروا بطرده من إيران(٣٠).

وقع اختيار " جنيد" على آسيا الصغرى لتكون مقرا له، فخرج إليها عام ٨٥٤هـ/١٤٥٠م، وكانت تحت سيطرة العثمانيين. وقد رغب " جنيد " في كسب تعاطف السلطان مراد الثاني (٨٢٤ـ٨٥٥هـ/١٤٢١ـ ١٤٥١م) ليسمح له بالإقامة في أراضي دولته، فأرسل إليه هدايا مع أحد خواصه، لكنه رفض أن يقيم في أراضيه، ورد الهدايا التي أرسلها له(٣١).

ورغم قصر الفترة التي ولى فيها " جنيد " أمر العثمانيين فإنه استطاع أن يجمع حوله عددا كبيرا من الأتباع الذين دانوا له ولأسرته بالولاء، وكان بعضهم يقوم بنشر الطريقة الصفوية في الأناضول مما أدى إلى تزايد أتباع الأسرة الصفوية في الإمبراطورية العثمانية بصورة ملحوظة، وبخاصة في المناطق الشرقية من الأناضول(٣٢).

وقد خرجت جموع كثيرة من هؤلاء الأتباع فور علمهم بجلوس إسماعيل على عرش البلاد ، وكانوا عونا له في كثير من حروبه التي خاضها داخل إيران. وقد دفعت النجاحات التي حققها إسماعيل في إيران أعدادا أخرى للهجرة من الأناضول إلى إيران، والبقاء بجوار الشاه إسماعيل(٣٣).

لم يكن السلطان بايزيد راضيا عن استمرار تلك الهجرات المتدفقة من دولته باتجاه إيران، فقد كان يدرك أن انضمامهم للشاه يمثل خطرا داهما على الدولة العثمانية ذاتها؛ فهؤلاء الرعايا الأتراك سيصبحون بعد انخراطهم في جيش الشاه سيفا مسلطا على بلاده ولذلك أصدر أمره بمنع تلك الهجرات(٣٤).

وأمام هذا القرار لم يجد إسماعيل بدا من أن يكتب رسالة إلى السلطان " بايزيد" يطلب منه أن يسمح لأتباع الصفويين بالذهاب إلى إيران لزيارة مقابر أجداده الصفويين للتبرك بها. وذكر له في الرسالة قيام حكام الحدود بمنع هؤلاء

المريدين من السفر، واعتراض طريقهم وإعادتهم إلى البلاد مرة أخرى(٣٥).

والناظر إلى هذه الرسالة يجد حرص الشاه إسماعيل على أن تظل علاقته طيبة بالسلطان العثماني؛ فنجده يُصدّر الرسالة بالكثير من عبارات التبجيل والتفخيم والدعاء للسلطان بايزيد مثل قوله "ملجأ الإسلام،...... نصاب العدل، المنتسب للحشمة، سلطان سلاطين الإسلام، منكس رؤوس عبدة الأصنام، كهف الخواقين في العالم، ملاذ ملوك الأمم، الغازي في سبيل الله، والمؤيد من عند الله، السلطان العالم العادل والخاقان العارف الكامل ......، حضرة ملك الإسلام السلطان بايزيد خلد الله تعالى ظلال معدلته على المسلمين، وأيد أيام خلافته لما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين"(٣٦).

والحقيقة أنني آثرت أن أنقل كثيرا من كلمات تلك المقدمة؛ لأنها توضح — بجلاء — رغبة إسماعيل في أن يُبقي على العلاقة السلمية بينه وبين السلطان بايزيد، وأن الحادثة التي دفعته إلى إرسال هذه الرسالة — وهي منع أتباع أسرته من الهجرة إلى إيران — لن تؤثر على علاقة البلدين.

ولا يختلف متن الرسالة عن مقدمتها؛ فقد عرض الشاه مطلبة مصحوبا بكلمات التبجيل والاحترام لبايزيد حيث يقول: "وإنه ليس بخاف على طريق زينة العالم، أنه من الثابت المحقق من قديم الأيام إلى الآن إرادة واعتقاد أهالي ممالك العالم، وخاصة أهل ديار الروم لأسرتنا ..... إلا أنه في بعض الأوقات والفترات يحدث في أثناء ذهابهم أن يعترض ملوك وحكام الحدود. لهذا من المتوقع أن تشمل طريقة عدل وأفضال ملكنا حضرة ملجأ خلافة جميع أهل الإسلام وخاصة سالكي مسالك الطريقة، وملوك ممالك الحقيقة، وأن يجيز طريدي ومعتقدي هذه الأسرة بزيارتها. وأن يأمر ملوك وحكام البلدان والمحافظين على الحدود و الأمصار"(٣٧).

وجاء رد" بايزيد " على رسالة الشاه مبينا سبب منعه لهؤلاء المريدين فقال بعد عبارات المديح والثناء : "...... وعند التحقق من هذا اتضح أن أكثر الرعايا من الجنود سيتوجهون إلى هذه الناحية بغرض الزيارة فيقعدوا عن الجهاد، مما يؤدى إلى حدوث نقص كبير في عدد الجيش. وكان قد صدر الأمر بأنه إذا قابل أحد الجنود الغزاة أحد الرعية فإنه بموجب القانون القديم والبصيرة المستقيمة يقبض

عليه ويرجعه إلى موطنه الأصلي مرة أخرى، وفور أن وصلتنا رسالتكم الشريفة أمرنا بألا يمنع أي فرد من هذه الطائفة يريد زيارة أولياء الله عليهم الرحمة شريطة عودته مرة أخرى. حتى يعمر طريق المحبة ويتحقق رغبة الطرفين ومقصود الجانبين، ويغدو رباط المحبة موصولا غير منقطع"(٣٨).

وبالرغم من شيوع روح المحبة والتفاهم في الرسالتين السابقتين فإن أفعال " بايزيد" خالفت أقواله؛ فقد أمر بترحيل عدد كبير من شيعة الأناضول إلى المناطق الحدودية التي تفصل بلاده عن اليونان، وإلى الأراضي التي تم فتحها مؤخرا في أوروبا، وذلك حتى يضمن عدم انضمامهم إلى شاه إيران(٣٩).

مرور جيش الشاه من الأراضي العثمانية، وأثر ذلك على العلاقات بين البلدين:

بعد أن استطاع الشاه إسماعيل أن يبسط سلطانه على معظم أقاليم الهضبة الإيرانية، رنا ببصره تجاه الأقاليم التي تمثل حدودا لإيران وتعد خطرا على أمنها، وكان أكثر تلك المناطق خطرا إقليم ديار بكر الواقع في شمال غرب إيران، وكان ذلك الإقليم ــ في ذلك الوقت ــ تحت سيطرة " علاء الدولة " أمير أسرة ذي القدر(٤٠) والذي سمح لبعض أمراء أسرة الآق قويونلو باللجوء إلى أراضيه بعد سيطرة الشاه إسماعيل على إيران.

ولهذا عزم الشاه إسماعيل على حرب " علاء الدولة " والسيطرة على إقليم ديار بكر، وأراد أن يفاجئ جيوش علاء الدولة بحيث يذهب إليهم من طريق لا يتوقعون مجيئه منها، لكنه صادف مشكلة ممثلة في أن عليه المرور من الأراضي العثمانية، وهذا من شأنه أن يمثل انتهاكا لسيادة العثمانيين على تلك الأراضي، ومن ثم يترتب على ذلك توتر في العلاقات بين البلدين.

وقد مرت جيوش الشاه بالفعل من الأراضي العثمانية، واستطاعت أن تنزل الهزيمة بعلاء الدولة، وتستولي على إقليم ديار بكر وذلك في عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م(٤١). لكن كان على إسماعيل أن يعالج تلك المسألة حتى لا تفسد علاقته بالعثمانيين، لذلك أرسل رسالة إلى السلطان " بايزيد الثاني " يعتذر له فيها

على اختراق أراضى دولته، فقال له بعد عبارات المديح الزائدة التي صدر بها الرسالة:"إنه في الثاني عشر من ربيع الثاني عقدنا العزم في قرية (نخربورثى) وصممنا على التوجه للقضاء على الأعداء، ولما المحبة والعهد القائم بيننا فهو كما هو لم يختل ، وحدث أن عبرنا في هذه الأوقات السعيدة الساعات ولايات الروم فأمرنا بمنع أي جندي من جنودنا التي ركابها النصر من التعرض لأي من أهالي هذه البلاد. أما الجماعة التي تضررت من عبور جنودنا فقد استملناها وأعدناها إلى أماكنها الأصلية، ونحن أصلا لم نقترف في حقهم شيئا خطيرا على الإطلاق. والرجاء أن يحافظ حافظ الحفظ الإلهي بحكمته اللانهائية على الحب الذي بيننا"[٤٢].

والملاحظ من الرسالة السابقة أن الشاه إسماعيل أراد أن يؤكد على بقاء المحبة والود بينه وبين العثمانيين، فكرر ذلك في بداية هذا المقطع في الرسالة وفي نهايته. كما أكد في رسالته على أن المناطق التي مرت بها الجنود لم تتأثر بهذا المرور على الإطلاق ــ بنص عبارته ــ، ولذلك فقد قابل السلطان " بايزيد" رسول الشاه بترحاب شديد وحمّله رسالة إلى الشاه تدل على قبوله هذا الاعتذار، وعلى رغبته في أن تبقى حالة الهدوء السائدة بين الدولتين .

وقد صدر السلطان العثماني رسالته إلى إسماعيل بالكثير من صفات المدح ومن ألقاب الفخامة والعظمة، كالمليك الأعظم، والمتوج الأكرم،ملك ممالك العجم، والمنسق الجديد لبلاد الترك والديلم، والمؤيد من عند الله، الملك الجليل[٤٣]، وغيرها من الألقاب الدالة على التقدير والاحترام ثم يؤكد له عدم تعرض رعايا دولته لأي أذى من مرور جنوده من أراضيه، وأن هذا الأمر لن يكون سببا لظهور الخلاف بينهما[٤٤].

وهكذا مرت أزمة مرور جيش الشاه من الأراضي العثمانية دون أن تترك أثرا سلبيا على علاقة الدولتين، فالملاحظ أن الطرفين كانت لديهما الرغبة في أن تبقى حالة السلم عنوانا على علاقتهما السياسية في هذه الفترة، لكن في عالم السياسة سرعان ما تتبدل المواقف وتتغير الأحوال وهذا ما ستكشف عنه السطور القادمة .

ثورة " شاه قولي " المسلحة وأثرها على العلاقات العثمانية الصفوية :

سبق وذكرت أن للصفويين في الأناضول عددا كبيرا من المريدين الذين يدينون لهم بالولاء بالرغم من إقامتهم في أراضي العثمانيين، وقد كان هؤلاء الأتباع شوكة في جنب الدولة العثمانية، ومصدرا لكثير من القلاقل والفتن، وكان أكثر هذه الفتن ضراوة ذلك التمرد المسلح الذي قام به واحد من أتباع الأسرة الصفوية ويدعى " شاه قولي "[٤٥]، واسمه " قرة بيقيلى اوغلى".

كان والد " شاه قولي " ــ ويدعى "حسن خليفة" ــ واحدا من مريدي السلطان " حيدر " والد الشاه إسماعيل، وكان هذا الرجل يجيد القيام بدعوة الناس لاتباع المذهب الشيعي تحت غطاء التصوف والزهد، وقد أرسله " حيدر " إلى الأناضول لنشر الدعوة هناك، فاعتكف هو وابنه في إحدى المغارات وتظاهر بمظهر الصوفي الزاهد، وطارت شهرته في الدولة العثمانية، لدرجة أن " بايزيد الثاني " جعل له راتبا سنويا وكان يغدق عليه العطايا والهبات، ويطلب منه الدعاء ظنا منه أنه رجل صوفي، في حين أن الرجل كان من دعاة الشيعة، وكان يلقن زائريه تعاليم المذهب الشيعي[٤٦].

لما توفى " حسن خليفة " تسلم راية الدعوة بعده ابنه " شاه قولي "، وقد تزامن ذلك مع قيام الدولة الصفوية في إيران، وهذا من شأنه أن يعطى للرجل دفعة لزيادة نشاطه الدعوى في شرق الأناضول، وهذا ما حدث بالفعل، فقد جمع حوله عددا كبيرا، وبدأ يعلن البيعة للشاه إسماعيل الصفوى، وظهرت بذلك أهدافه السياسية وعقائده المذهبية[٤٧]، فنعته الأتراك بـ" شيطان قولي " في الوقت الذي كان بعض أتباعه يعدونه المهدي المنتظر الذي أرسله الله لإنقاذ البشر[٤٨].

عزم " شاه قولي " على الخروج على الدولة العثمانية في شكل ثورة مسلحة، فقرر الخروج في المحرم عام ٩١٦هـ/١٥١١م[٤٩]، وسار في عشرين ألفا من الأتباع، والعجيب أن الدولة العثمانية لم تقدر هذه الثورة حق قدرها، وظنوا أن فرقة صغيرة من جيوشها يمكنها القضاء على هذه الثورة المسلحة، لكن خاب ظنها؛ فقد تمكن هذا الثائر من هزيمة القوة العثمانية المرسلة للقضاء عليه، ودفعه هذا الانتصار إلى مهاجمة بعض أقاليم الدولة العثمانية، وكان كلما استولى على بلدة

من البلاد يقرأ فيها الخطبة باسم الشاه إسماعيل تأكيدا على تبعيته له(٥٠). كما قام أنصاره بتدمير بعض المساجد وإحراق بعض القرى، وهدموا مقرات الدراويش ومساكنهم وبعض أضرحة الأولياء(٥١).

لقد استطاع " شاه قولي " أن يستولى على عدد من بلاد الدولة العثمانية، وتمكن من إلحاق الهزيمة بعدد من جيوشها، ولم تتمكن الدولة من القضاء عليه بعد أن أرسلت له جيشا كبيرا بقيادة الصدر الأعظم، حيث دارت بين الفريقين حرب عظيمة في ربيع الآخر سنة ٩١٧هـ/ يوليو ١٥١١م، قتل فيها كثير من جنود الفريقين، وكان على رأس القتلى " شاه قولي "، والصدر الأعظم "على خادم باشا"، وانتهت المعركة بانتصار الجيش العثماني، وفر من بقى من جنود " شاه قولي " إلى إيران احتماء بالشاه(٥٢).

إن فرار من بقى حيا من هؤلاء الثوار إلى إيران يؤكد ارتباط الشاه بذلك التمرد، والحقيقة أن الدولة العثمانية قد أدركت تلك العلاقة منذ بداية هذه الثورة؛ فالثوار منذ البداية أعلنوا ولاءهم للشاه ومبايعتهم له، حتى إنهم كانوا يخطبون باسمه في البلاد التي يسيطرون عليها إعلانا منهم بتلك التبعية.

تغيرت بعد هذه الثورة طبيعة العلاقة بين الشاه إسماعيل والسلطان بايزيد الثاني، وتبدلت علاقة الود التي كانت تظهر في مراسلاتهما إلى جفاء وكراهية، ولم يحاول الشاه إسماعيل تحسين هذه العلاقة وإعادة الأمور إلى ما كانت عليه، إنما قام ببعض الأفعال التي تزيد من إشعال نار الفرقة والاختلاف بينه وبين السلطان بايزيد؛ فقد قام بعد انتصاره على الأوزبك (٥٣) بإرسال رأس زعيمهم " محمد شيباني " إلى السلطان العثماني كرمز للانتصار، وإظهار للقوة وشدة البأس(٥٤). هذا التصرف الغريب وغير المحسوب من الشاه إسماعيل أغضب السلطان العثماني؛ فقد كان قائد الأوزبك رجلا سنيا تربطه علاقة بالسلطان العثماني، فضلا عن أنه رأى أن ما قام به الشاه عملا استفزازيا لا معنى له، فليس هناك حالة من العداء والنزاع بين البلدين حتى يرسل له رأس القائد القتيل ليرهبه بها، ولهذا فقد كتب رسالة إلى إسماعيل تعبر كلماتها عن تغير واضح في علاقة البلدين، يقول بايزيد: " أيها الشاب قليل التجربة، اسمع نصيحة من والد، ولا ترق دماء المسلمين من أجل

قبول مذهبك الجديد، ولا تغفل الوعيد القائل: من قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها، واجعل طريقة أجدادك العظام أنار الله برهانهم منهجا لك، وإرسال جلد شيبك خان لا يخيف سلاطين العثمانيين الشجعان"[٥٥].

إن الرسالة السابقة تبرهن بجلاء على تغير واضح في العلاقة بين بايزيد وإسماعيل؛ فقد غابت كلمات الدعاء وعبارات المديح والثناء وحلت محلها عبارات التقريع والازدراء، فالسلطان العثماني لم يخاطب الشاه باسمه، إنما خاطبه بعبارة " أيها الشاب " وهذا لا شك للتقليل من شأنه، ثم زاد من ذلك فنعته بقلة التجربة، وختم الرسالة بجملة توحي بأنه فهم مقصود إسماعيل من إرساله رأس " شيباني " قائد الأوزبك وهو إظهار القوة أمام العثمانين، فما كان من بايزيد إلا أن نفى له تحقق مراده؛ لأن سلاطين العثمانيين شجعان لا يخافون.

المبحث الثاني :"إرهاصات الصراع العثماني الصفوي"

النزاع بين أبناء بايزيد على العرش، وتولي السلطان "سليم " الحكم:

كان للسلطان " بايزيد الثاني" ثمانية أبناء، مات منهم خمسة في حياته، وبقي ثلاثة هم: الأمير أحمد وهو أكبر أبناء السلطان وكان يحكم " أماسيا"، وقو رقود، وكان يحكم " صاروخان" أو " مانيسه"، وسليم وهو أصغر الأبناء وكان يحكم طرابزون[٥٦].

وقد أعلن "بايزيد" أنه لن يتنازل عن الملك لأي من أبنائه وهو على قيد الحياة؛ وذلك مخافة أن يحدث شقاق ونزاع بينهم، لكن على الرغم من هذا الإعلان إلا أن الدلائل كانت تشير إلى عزم السلطان على تنصيب ابنه " أحمد " سلطانا للبلاد خلفا له؛ وذلك لأنه شعر بالضعف وعدم القدرة على الاضطلاع بشئون الحكم[٥٧].

كان رجال الدولة يميلون إلى تنصيب الأمير " أحمد " سلطانا خلفا لأبيه، وذلك لكونه صورة منه في حسن خلقه وجميل طباعه، في حين كان جنود الانكشارية[٥٨] وهم أهم فرق الجيش العثماني يرغبون في أن يتولى الأمير " سليم" السلطنة خلفا لأبيه؛ وذلك لكونه عسكريا فذا، وقائدا حربيا متميزا[٥٩].

وفي النهاية انتصر بايزيد للرأي القائل بتنصيب الأمير " أحمد "، فعزم على التنازل له عن العرش، وبعث إليه رسالة يدعوه فيها إلى الإسراع بالقدوم إلى " استانبول" ليجلس على العرش(٦٠).

لم يرض الأمير " سليم " عن القرار الذي اتخذه أبوه، فقد كان يرى أنه الأحق بخلافته على العرش لكونه مدعوما من المؤسسة العسكرية التي ترى أنه الأصلح لهذا المنصب، ولذلك فإنه لم ينتظر وصول أخيه إلى " استانبول"، وسار على رأس مجموعة كبيرة من الجنود بهدف ثني أبيه عن قراره وليس بهدف الدخول في حرب معه كما قال بعض الأمراء الكارهين له، وصوروا لأبيه أنه أتى لحربه، في حين أن " سليما" نفسه أعلن أنه جاء للتشاور مع أبيه فقط ولم يأت للحرب(٦١).

غير أن الحرب قد وقعت بين الابن وأبيه وذلك في الثامن من جمادي الأولى سنة ٩١٧هـ/١٥١١م، وقد هزم " سليم" هزيمة منكرة فر على إثرها من أرض المعركة(٦٢).

ظن الأمير أحمد أن الأمور باتت في صالحه بعد هزيمة أخيه وفراره بجيشه، فأسرع إلى استانبول لإتمام مراسم إجلاسه على العرش، لكن فوجئ برفض قادة الانكشارية توليه الحكم، وأنهم يرغبون في تولى سليم خلفا لأبيه، ليس هذا فقط، بل قام بعض فرق الانكشارية بنهب منازل الأمراء وكبار القادة، وسيطروا على كل الموانى التي تحيط باستانبول، وقطعوا الطرق المؤدية إلى المدينة لمنع دخول الأمير " أحمد "، وأصروا على أن يتولى " سليم " الحكم خلفا لأبيه(٦٣).

اضطر "بايزيد" في النهاية أمام هذه الضغوط إلى النزول على رغبة الانكشارية وأرسل إلى ابنه سليم يدعوه إلى القدوم لتولى الحكم خلفا له، فقدم في صفر سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م، واستقبله رجال الدولة بحفاوة بالغة، وذهب إلى والده وقبل يده، فأمسك بايزيد بيد ابنه وأجلسه على العرش وأسداه بعض النصائح، كما أوصاه بأخويه خيراء واستحلفه ألا يقتلهما، ثم ألبسه عمامة السلاطين فبايعه الوزراء وكل الحاضرين(٦٤).

بعد أن تنازل بايزيد عن الحكم لابنه سليم قرر أن يذهب إلى مسقط رأسه بلده " ديموتيقيا" ليعيش فيها بعيدا عن صخب السياسة ومتاعب الحكم، لكن القدر لم يمهله حتى يصل إليها، فقد وافته المنية وهو في الطريق، فمات فجأة في شهر مايو سنة ١٥١٢م/ ربيع الأول سنة ٩١٨هـ عن عمر يناهز ٦٧ عاما منها حوالي ٣٢ سنة(٦٥).

العلاقات السياسية بين السلطان سليم الأول والشاه إسماعيل:

دخلت العلاقات السياسية بين العثمانيين والصفويين مرحلة جديدة بعد أن تولى السلطان سليم مقاليد الحكم؛ وذلك لأن السلطان الجديد لم يكن كأبيه في إيثار السلام والهدوء، إنما كان عنيفا متهورا، غضوبا، دائم الحركة، وقد أطلق عليه منذ الصغر لقب " ياوز" أي الصارم أو الرهيب لشجاعته وجرأته وعنفه(٦٦).

وقد أثرت هذه الصفات في طريقة معالجته للأمور؛ فقد كان ينظر إلى الشيعة في الأناضول على أنهم خطر يجب التصدي له بالقوة لمنع انتشاره في البلاد وبخاصة في شرق الأناضول، وهذا عكس سياسة أبيه المسالمة.

وعلى الجانب الآخر، كان إسماعيل الصفوى يرقب ما يحدث في الأناضول من نزاع بين أبناء بايزيد على تولى السلطة، وقرر أن يستغل تلك الأجواء المضطربة في توسيع الدعوة الشيعية في الأناضول، فأرسل أحد أتباعه إلى هناك للقيام بتلك المهمة التي كانت الفتيل الذي أشعل الصراع بين البلدين.

مما تجدر الإشارة إليه أن " نور على " حاكم " أرزنجان" شمالى غرب إيران، أرسله الشاه لنشر الدعوة الصفوية لامتلاكه القدرة على نشر المذهب الشيعي من ناحية، ولقدرته العسكرية في الاستيلاء على بعض أقاليم الأناضول من ناحية أخرى، وقد نجح هذا الرجل في أن يجمع حوله ما يقرب من أربعة آلاف من شيعة الأناضول، وتمكن من هزيمة أحد الجيوش العثمانية التي خرجت للتصدي له، واستولى على بلدة " طوقات" وخطب فيها باسم الشاه إسماعيل، ثم تحرك حتى وصل إلى " أماسيا"، وامتد نشاطه حتى وصل إلى وسط الأناضول(٦٧). " وظل هذا القائد الشيعي شوكة في جنب الدولة العثمانية حتى بعد وصول سليم لحكم

البلاد"[٦٨].

كان أتباع "نور علي" يتزايدون يوما بعد يوم، وكان نشاطه المذهبي يحقق نجاحا تلو الآخر، وقد استطاع أن يدخل في هذا المذهب واحدا من أفـراد الأسـرة الحاكمة وهو الأمير "مراد بن أحمد بن بايزيد" وهذا ـ دون شك ـ يوضح نجاح هذا الرجل في تحقيق أهدافه التي خرج من أجلها؛ فقد استطاع أن يكوّن قـوة عسكرية من شيعة الأناضول، واستطاع أن يستولى على بعض مـدن العثمـانيين مستغلا ما كان يحدث في الأناضول من صراعات واضطرابات، لكنه بعد أن رأى أن الأجواء السياسية بدأت تستقر بعد تولي "سليم" الحكم، آثر العودة إلى إيـران، وبخاصة بعد أن رأى استعدادات السلطان الجديد وعزمه على الدخول في حرب مع شاه إيران[٦٩].

حول أسباب الصراع العثماني ـ الصفوي:

اجتمعت مجموعة من الأسباب أسهمت في توتر العلاقـة السياسية بـين الدولتين الكبيرتين، ودفعتها في النهاية إلى الصدام المسلح، ومن هذه الأسباب:

(أ) محاولات الشاه إسماعيل المتتالية في إثارة الشيعة في الأناضول ونشر المذهب الشيعي في أراضي العثمانيين، وقد تواكب هذا مع وصول حـاكم قـوي هـو السلطان سليم الذي لم يكن في سماحة والده حتى يكتفي بمعاتبة الشاه فقط على هذه الأعمال، بل كان يرغب في القضاء على دولة الشيعة الفتية فـي إيـران لدعمها المتواصل للشيعة في بلاده.

(ب) قيام الشاه إسماعيل بإيواء الأمراء الثائرين على السلطان العثماني، وإعلانـه استعداده إرسال جيش لمساعدة الأمير أحمد بن بايزيد للوصول إلى حكم البلاد، كذلك استقباله الأمير مراد بن أحمد بن بايزيد بعد فراره من عمّـه السلطان سليم، وإكرامه غاية الإكرام[٧٠].

(ج) تأمين الجبهة الشرقية من الأناضول والتي أصبحت مسرحا خـصبا للدعايـة الصفوية، فقد رأى السلطان سليم أن حدوده مع إيران بحاجة إلى تأمين للحد من انتشار المذهب في تلك المناطق والمحافظة على أمن دولته من الاختراق مـن

تلك الجهة.

(د) من الأسباب التي أسهمت في وقوع الصدام بين الدولتين أن إسماعيل لم يرسل رسولا لتهنئة السلطان سليم بالجلوس على العرش خلفا لأبيه وقد عد السلطان العثماني تصرف الشاه إسماعيل امتهانا له، فصمم على مهاجمة إيران(٧١).

هذه بعض الأسباب التي دفعت السلطان سليم لعقد العزم على الدخول في حرب ضد الشاه إسماعيل الصفوى، وقد اتخذ السلطان سليم كثيرا من الإجراءات التي تضمن له النجاح في هذا الصراع، ومن هذه الإجراءات قيامه بقتل عدد كبير من شيعة الأناضول وذلك حتى يضمن عدم قيامهم بالثورة وإحداث الاضطراب في ظل غياب الجيش(٧٢). كما قام بتجديد بعض المعاهدات مع بعض الدول الأوروبية ليضمن هدوء واستقرار الجهة الغربية من الأناضول أثناء الحرب. ولم يكتف بذلك وإنما حشد ما يقرب من ١٢٠ ألف جندي بالعربات العسكرية وبسلاح المدفعية، وأمر بتدبير كافة الاحتياجات اللازمة لإعاشة الجنود في الحرب من ماء وطعام(٧٣).

وعلى الجانب الآخر، كان الشاه إسماعيل مشغولا بتمرد الأوزبك واحتلالهم أجزاء من خراسان، وكان يعمل على إخراجهم من أراضيه، ولذلك لم تكن أمامه فرصة كافية لتجهيز الجيش وتأمين البلاد بالقدر الكافي، وكل ما استطاع فعله هو تكليفه حاكم " ديار بكر" بتخريب القرى والطرق الواقعة في طريق الجيش العثماني، وأن ينسحب بعد ذلك إلى آذربايجان(٧٤).

المبحث الثالث : معركة چالديران(٧٥) ٩٢٠هـ/١٥١٤م

أحداث ما قبل المعركة:

عزم السلطان سليم على التحرك صوب إيران في صفر سنة ٩٢٠هـ/ ابريل سنة ١٥١٤م، وبعد أن تحرك بجيشه بدأت مراسلاته مع الشاه إسماعيل، فأرسل إليه يذكر له فيها الأسباب التي خرج من أجلها لحربه، ومما قاله له في هذه الرسالة: " فقد فرقت الجماعة البايندرية (يقصد أسرة الآق قويونلو)، وتعديت على إمارات البلاد الشرقية، وفتحت أبواب الظلم والجور على طريق المسلمين ....

وأشعت الفتنة والفساد، وحكمت بدواعي النفس والأهـواء...... وأطلقـت مقـابح أفعالك،ومساوئ أحوالك من نواميس الدين، كإباحة الفروج المحرمة، وإراقة الدماء المكرمة، وتخريب المساجد والمنابر، وإحراق المراقد والمقابر، وإهانـة العلمـاء والسادات ،.... وسبّت الشيخين الكريمين (أبو بكر وعمر رضي الله عنهما). لهذا أفتى أئمة الدين والعلماء المهتدين رضوان الله عليهم أجمعين بكفرك وارتدادك أنت وأتباعك.... وأعلنوا على رءوس الأشهاد أن جزاء هذا كله القتل"[٧٦].

ولم ينس السلطان العثماني أن يخبره في هذه الرسالة بعقده العـزم علـى الحرب فيقول: " ولتعلم أن النية قد انعقدت على أن نقطع يد ظلمك، ونقتلـع زرع جبروتك بتأييد الباري عز وجل ومساعدته، ونرفع فساد شرك وشرورك من فـوق رءوس العجزة والمساكين"[٧٧].

لم يرد الشاه إسماعيل على أولى رسائل السلطان سليم، في الوقت الذى كان السلطان العثماني يواصل سيره إلى إيران إلى أن وصل إلى حـدودها، ودخـل " أرزنجان" في جمادى الأول سنة ٩٢٠هـ/ يونيو ١٥١٤م، وعسكر علـى مقربـة منها، وجاءته الأخبار من عيون الجيش العثماني أن إسماعيل لا يفكر في الحرب، وأنه يصرف اهتمامه في قطع الطرق التي سيسلكها الجيش العثماني لإعاقة وصوله إلى إيران، ولذلك فكر السلطان العثماني في أن يرسل رسالة أخـرى إلـى الـشاه إسماعيل ليستحثه على الخروج للحرب[٧٨]، فكتب إليه رسـالة ثانيـة لا يختلـف مضمونها كثيرا عن الرسالة الأولى، لكنه أرسل معها خرقـة وعصاه،ومـسواك، ومسبحة، مشيرا بذلك إلى أصل الشاه إسماعيل وإلى أجداده المتصوفة، وأخبره أن عليه الركون إلى هذه الأشياء مادام خائفا من الحرب، ولذلك لأنهـا عـدة أجـداده الدراويش[٧٩].

اضطر الشاه أمام هذا السيل من الهجوم المتواصل عليه عبر هذه الرسائل أن يرد، فأرسل رسالة إلى السلطان العثماني مصدرًة بعدد كبير من ألفاظ المحبـة والاحترام؛ ونعت السلطان بعبارات التعظيم والتبجيل، فجعله "ملجأ الإسلام، والدنيا والدين، والسلطان سليم شاه، أيده الله بالدولة الأبدية، وأدامه بالسعادة السرمدية"[٨٠].

وقد وصف الشاه إسماعيل ـــ في هذه الرسالة ـــ رسائل السلطان العثمانى

التي أرسلت إليها بأنها " تنم عن جرأة وعداوة، ويتجلى منها عداء شديد"، ويـذكّره بأنه لم يكن بينهما إلا الصداقة منذ أن كان واليا على طرابزون. كما بين له السبب الذي جعله لا يتحرك إلى الآن لوقف زحف الجنود العثمانيين تجـاه إيـران بعـدم رغبته في " أن تقوم فتنة تملأ الأرض كتلك التي كانت في عهد تيمور"، وأنه إلـى الآن لا يريد.

ولم تخل رسالة إسماعيل من عبارات التهكم والاستهزاء التـي تمثـل ردًا على رسائل سليم السابقة، ففي هذه الرسالة ــ أيضا ــ نجده يخاطب السلطان سليم بقوله: " ولكن مثل هذه الأقوال عن أفكار الإلحاد لا تصدر إلا عن كاتـب مـدمن للأفيون كتبها تحت وقع تأثيره ثم أرسلها . وإنا نعتقد أن كل هذه المهاترات لم تكن لها ضرورة، وبناء عليه أرسلنا حقا ذهبيا مملـوءا بـالمكيف ومختومـا بخاتمنـا الهمايوني.... وإنا وقت كتابة هذه الرسالة على حدود أصفهان للعيد، وكنا مشغولين بالاستعداد للحرب، وأرسلت الرد فقط من أجل الصداقة .... وعندما ينتهي الأمـر بالحرب لن يكون للتأخير أو التهاون مكان. ولكن فكر فيما ستصير إليه الأحـداث والسلام"[٨١].

تمرد الانكشارية على السلطان العثماني:

لكم يكن الجنود العثمانيون على دراية بأراضي إيـران الـوعرة وبطرقهـا الصعبة، ولذلك ضاقوا من كثرة التوغل فيها بلا فائدة؛ فالشاه لم يخرج لملاقـاتهم وصدهم عن التوغل في أراضي دولته. لكنهم لم يكونوا يعلمون أن الشاه إسماعيل قد تعمد ذلك، فقد خطط لسحب الجيش العثماني إلى داخل أراضي إيران الـوعرة ليزيد من معاناتهم، ولينهك قواهم، وهذا ما حدث، فقد بدأ الجنود يشعرون بالتعـب من طول الطريق، وبدءوا يحثون قادتهم على مطالبـة الـسلطان بـالعودة إلـى الأناضول[٨٢].

ازداد غضب الانكشارية لعدم اكتراث السلطان العثماني بمطالبهم، وزاد من غضبهم وصول الأخبار بأن الشاه إسماعيل قد انسحب داخل إيران، وأن الـسلطان سليم قرر تعقبه داخل البلاد ، فتجمعوا حول خيمة السلطان سليم، وبدءوا يصرخون ويصيحون ساخطين بسبب طول سفرهم وقلة زادهم ومتاعبهم، ومعلنين الرغبة في

العودة ثانية إلى أراضى الدولة العثمانية، وقد تجرأ بعضهم وأطلق الرصاص على خيمة السلطان وقذفوها بالحجارة [٨٣].

لم يعبأ السلطان سليم بتلك التصرفات، وخرج إلى جنوده، وخطب فيهم خطبة ألهبت مشاعرهم، وأثارت فيهم مشاعر البطولة والإقدام، فتحولت الهتافات المطالبة بالعودة والانسحاب إلى هتافات بحياة السلطان والتأييد له[٨٤].

أصدر السلطان أوامره بالتحرك صوب إيران، وأرسل رسالة ــ هي الرابعة ــ إلى الشاه إسماعيل، وفيها يتعجب من جرأة الشاه في رسالته السابقة بعد أن ظل فترة طويلة رافضا الرد على رسائله، وقد اتهمه في هذه الرسالة بالجبن، وعدم الرجولة، وحثه على الخروج لقتاله قائلا: " فإذا انزويت كما كنت بعد ذلك في زاوية الرعب والهلع فحرام أن يطلق عليك اسم الرجال، وعليك أن تختار الحجاب بدلا من السيف، وعباءة النساء بدلا من الدرع"[٨٥].

وإمعانا في إذلاله والسخرية منه أرسل إليه مع هذه الرسالة مجموعة من ملابس النساء وأدوات الزينة وذلك لإشعاره بأن تصرفاته ليست من شيم الرجال[٨٦]. كما قام بكتابة بعض الرسائل على لسان بعض الأمراء التركمان الموجودين في جيشه تتضمن تأييدهم وولاءهم للشاه، وأن خوفهم من سليم هو الذي منعهم من الانضمام إليه، وأنهم مستعدون للانضمام إلى جيشه عندما تقع المعركة، وقد أرسل سليم هذه الرسائل للشاه ليدفعه للخروج إلى الحرب، وقد نجحت الخطة فقد جاءت الأخبار تفيد بأن إسماعيل قد انخدع بتلك الرسائل، وأنه خرج بجنوده تجاه صحراء چالديران[٨٧].

وصول الجيشين إلى صحراء " چالديران" وبداية المعركة:

وصلت الأنباء بأن الجيش الصفوى تحرك تجاه صحراء چالديران ، فأصدر السلطان سليم أوامره بالتحرك إلى هناك، ووصلت جنوده في أرض المعركة في غرة رجب سنة ٩٢٠هـ/ أغسطس ١٥١٤م، وذلك بعد أن قطعت مسافة تبلغ حوالي ٢٥٠٠ كيلو متر [٨٨] تسببت في إلحاق التعب والنصب بهم، ولولا قلة من المؤن كانت تأتى إلى الجيش العثماني من ميناء طرابزون عبر الوديان والفيافي

على ظهور البغال لكان مآل الجيش العثماني إلى الهلاك(٨٩).

كان الجيش العثماني مسلحًا بالمدفعية والبنادق، وكانت تسانده قـوة بحريـة كبيرة، فضلا عن أن قواته كانت تقدر بحوالي ١٢٠ ألف جندي(٩٠). أمـا الجـيش الصفوى فقد اختلفت المصادر في تحديد عدد مقاتليه، فقد أوردت بعض المـصادر أنه كان يتساوى في العدد مع الجيش العثماني(٩١)، في حين أوردت بعض المصادر الأخرى أن عدد الجيش الصفوى لا يزيد عـن ٢٠ ألـف مقاتـل علـى أحـسن الفروض(٩٢)، وهناك من يرى ـ وهم أكثر الآراء ـ أن عدد الجيش الصفوى بلغ حوالي ٦٠ ألف مقاتل(٩٣). وكان هذا الجيش مسلحا بالأسلحة التقليدية المعروفة في ذلك الوقت كالسيوف والرماح وغيرها، ولا توجد به أسلحة نارية كـالتي يمتلكهـا الجيش العثماني(٩٤).

أصدر السلطان العثماني أوامره بالهجوم وذلك في الثاني من رجـب سـنة ٩٢٠هـ/ الثالث والعشرين من أغسطس سنة ١٥١٤م، ودارت معركة من أشرس المعارك في تاريخ الصراع العثماني الصفوى(٩٥)، وقد استبـسل الـصفويون فـي القتال، وكانوا يرددون بعض الهتافات التي تعبر عن عقيدتهم الشيعية مثل " علـي ولي الله "(٩٦).

وبالرغم من الفارق في العدد والعتاد بين الجيشين، فإن الغلبة ـ في البدايـة ـ كانت للصفويين؛ فقد كان الجيش العثماني مرهقا من طول السفر والـسير فـي جبال إيران الوعرة ،لكن السلطان العثماني أصدر أمره إلـى جنـود الانكـشارية باستخدام السلاح الناري، فحصدت المدفعية جنود الشاه إسماعيل الذين كانوا يعدون هذا السلاح منافيا للفروسية والبطولة، ولم يمض وقت طويل حتى حلت الهزيمـة بالشاه وجنوده(٩٧). وسقط عدد كبير من القتلى في صفوف الفريقين(٩٨)، ولم يـسلم الشاه نفسه في هذه المعركة؛ فقد سقط من على جواده، وجرحت يداه وساقه وكـاد أن يقتل لولا دفاع بعض المخلصين عنه حتى تمكن من الهرب من ساحة المعركة إلى " تبريز" ومنها إلى " همدان"(٩٩).

انتهت أحداث معركة " چالديران " بانتصار الجيش العثماني، فأمر الـسلطان سليم بإراحة الجنود، وعدم تعقب الفارين من جنود الشاه(١٠٠)، كما أمر بقتـل كـل

الأسرى الصفويين ماعدا النساء[١٠١]، ثم تحرك صوب "تبريز" عاصمة الصفويين ودخلها دون مقاومة في السادس من رجب سنة ٩٢٠هـ/السادس من سبتمبر سنة ١٥١٤[١٠٢]، وكان دخوله المدينة يوما مشهودا؛ فقد خرج العلماء والأعيان لاستقباله، واستطاع أهل السنة أن يظهروا مذهبهم دون خوف من الاضطهاد والتعذيب، وقد صلى السلطان الجمعة في مسجد " أوزون حسن " بعد أن أمر بترميه، وتليت خطبة الجمعة بالشعائر السنية[١٠٣].

لم تطل إقامة " سليم" في تبريز، فقد غادرها بعد حوالي عشرة أيام من دخوله إليها؛ وذلك بسبب " قلة المؤن فيها وانتشار المجاعة في أطرافها"[١٠٤]، وقرر العودة إلى الأناضول بعد أن علم أن جنود الانكشارية ساخطين من بقائهم في إيران وعازمين على التمرد في حالة إذا ما قرر السلطان معاودة قتال الشاه إسماعيل، ولذلك أمر بالتحرك إلى أراضي دولته بعد أن حقق الهدف الذي خرج من أجله[١٠٥].

أما الشاه إسماعيل قد عاد إلى تبريز بعد حوالي ثلاثة أسابيع من مغادرة السلطان العثماني إياها، وقد حاول في تلك الفترة أن يعقد صلحا مع السلطان سليم تفاديا لواقع حرب أخرى بينه وبين العثمانيين، فأرسل سفيرين من قبله لعرض الصلح[١٠٦]، لكن السلطان سليم رفض مطلبه، وزج بالسفيرين في السجن[١٠٧].

نتائج معركة چالديران:

(١) بالنسبة للعثمانيين:

(أ) استطاع السلطان سليم أن يُؤَمِّن الجزء الشرقي من الأناضول، وذلك بعد أن دخلت عدة مدن من إقليم" كردستان "تحت حكمه؛ فقد ثارت هذه البلاد على حكامها الإيرانيين بعد هزيمة الشاه، وساندوا السلطان العثماني وأعلنوا ولاءهم له، ولم يمض وقت طويل حتى انضمت خمس وعشرون مدينة للحكم العثماني كان من أهمها: ديار بكر، وماردين، والرقة، وأرزنجان[١٠٨].

(ب) دخلت إمارة " ذي القدر" تحت سيطرة العثمانيين، وذلك لرغبة السلطان العثماني في إتمام تأمين الحدود الشرقية لدولته ولعل الأمر الذي أسهم بشكل

كبير في إقدام السلطان على السيطرة على تلك الإمارة أن حاكمها " علاء الدولة " لم يقدم المساعدة اللازمة للجيش العثماني أثناء مروره من أراضيه لحرب الشاه مما أدى إلى تفاقم أزمة التموين بين القوات العثمانية، ولم يكتف " علاء الدولة " بذلك، بل قام بضرب قوافل الذخيرة الموجودة في مؤخرة الجيش العثماني[١٠٩]. كل ذلك دفع العثمانيين للسيطرة على هذه الإمارة وقد تم لهم ذلك بعد انتصارهم على جيوش علاء الدولة، وقد چچقتل في هذه المعركة علاء الدولة بالإضافة إلى أربعة من أبنائه[١١٠].

(ج) أظهرت هذا المعركة للسلطان العثماني ولأسلافه من سلاطين العثمانيين أن هناك خطرا داخليا يهدد الدولة العثمانية ممثلا في الانكشارية، وقد أثبتت هذه المعركة أنهم سلاح ذو حدين، وأنهم خطر كامن إذا لم تتم السيطرة عليه، لهذا نجد أن السلطان سليمان القانوني قد وضع نصب عينيه فور توليه الحكم إصدار قانون ينظم الجيش وعلى رأسه فرقة الانكشارية[١١١].

(٢) بالنسبة للصفويين:

(أ) كانت هزيمة الشاه في چالديران ضربة قوية لقوته العسكرية، والدليل على ذلك أنه لم يقم بعدها بأية معارك مهمة أو فتوحات ذات قيمة، وقضى بقية أيامه في الملك متجولا في ولايات إيران المختلفة[١١٢].

(ب) فقدت الدولة الصفوية سيطرتها على العراق، فقد أعلن حاكمه الولاء للسلطان العثماني " سليم الأول"، وأصدر السلطان العثماني مرسوما بهذا، وكان ذلك مقدمة لفتح العراق في عهد السلطان سليمان القانوني[١١٣].

(ج) كان لهزيمة للشاه في چالديران نتائج خطيرة على علاقته بجنوده أو بعبارة أخرى " القزلباش"، فقد ضيعت هذه الهزيمة هيبة الشاه في عيونهم، وذلك لأنه منذ أن خرج على رأس هؤلاء الجنود وهو في الثالثة عشرة من عمره، حتى عام ٩٢٠هـ، حقق النصر في كل المعارك التي قادها، ولم يذق القزلباش تحت قيادته طعم الهزيمة، وقد أدى ذلك إلى زيادة اعتقادهم في قداسة الشاه، لدرجة أنهم لم يعتقدوا أن يدخل في حرب يخسرها[١١٤]، لكن بعد هذه الهزيمة القاسية،

سقطت تلك القداسة، وأدى ذلك إلى تجرئهم عليه، وإلى ازدياد نفوذهم في البلاط الصفوى وفي الحكم بشكل عام، وقد ساعدهم في ذلك تقوقع الشاه بعد الهزيمة الثقيلة التي منى بها(١١٥).

(د) أثرت هذه الهزيمة في نفس الشاه إسماعيل أثرا كبيرا، فقد كان قبلها ضحوكا، منطلقا، مقبلا على الحياة، وبعد الهزيمة لم ير ضاحكا مبتسما(١١٦)، وقد أمر بأن تكون رايات جيشه باللون الأسود، وارتدى الملابس السوداء، وأمر بأن تكتب كلمة "القصاص" على رايات الجيش، وقد جعلته هذه الهزيمة المرة يمضي أكثر أوقاته في اللهو والصيد وشرب الخمر، ربما في محاولة لتناسى مرارة الهزيمة التي حطمت كبرياءه بوصفه قائدا موهوبا(١١٧).

لم تتغير طبيعة العلاقات بين الدولتين بعد معركة چالديران، وظلت هذه العلاقة على حالها من الاضطراب والسوء، ورغم محاولات الشاه إسماعيل الرامية إلى تحسين علاقته بالعثمانيين فإن كل هذه المحاولات باءت بالفشل وبخاصة أن السلطان سليم لم يعش طويلا؛ فقد مات في عام ٩٢٦هـ/١٥٢٠م(١١٨) عن عمر يناهز الحادية والخمسين عاما، وخلفه في الحكم ابنه " سليمان خان" الذي يلقبه العثمانيون بالقانوني، والأوربيون بذي الجلالة(١١٩).

لم يعش الشاه إسماعيل نفسه طويلا بعد وفاة السلطان سليم، فقد توفي بعد أربع سنوات من وفاة السلطان العثماني، وخلال تلك السنوات الأربع لم نجد تقدما ملحوظا في تحسين العلاقات بين البلدين، وبقيت لفترات طويلة فاترة لا صداقة فيها ولا ود(١٢٠).

﴿الخاتمة﴾

في ختام هذا البحث أود أن أذكر بعض النتائج التي توصل إليها وهى:

(١) بدأت محاولات لتأسيس الدولة الصفوية قبل الشاه إسماعيل فى عهد جده السلطان جنيد، ووالده السلطان حيدر، لكن هذه المحاولات لم يكتب لها النجاح.

(٢) كانت الحياة السياسية في إيران مهيأة لقيام الدولة الصفوية علـى يـد الـشاه إسماعيل، فقد ضعفت حكومة الآق قويونلو وفقدت سيطرتها علـى الـبلاد، وذلك بسبب الصراعات المتواصلة بين أبنائها.

(٣) استطاع الشاه إسماعيل أن يفرض المذهب الشيعي الاثنى عشري على إيران، وجعل منه مذهبا رسميا ووحيدا، وبذلك تحولت إيران من المذهب السني إلى المذهب الشيعي منذ عهده، وبقيت عليه إلى الوقت الحاضر.

(٤) بلغت الدولة العثمانية قمة مجدها السياسي في عهد محمد الفاتح، فقد تمكن من فتح القسطنطينية، وجعلها عاصمة دولته القوية، وامتدت فتوحاتها في أوروبا وآسيا.

(٥) اتسمت علاقة الفاتح بإيران بالتوتر والصراع، فقد دخل في عدة معارك مع " أوزون حسن" زعيم أسرة الآق قويونلو وذلك من أجل السيطرة على مدينة " طرابزون" .

(٦) تميز العلاقات العثمانية ـ الصفوية بالسلام في عهد السلطان " بايزيد الثاني" وذلك لكونه محبا للسلام، ومؤثرا تجنب الحروب وإراقة الدماء.

(٧) كان للصفويين عدد كبير من الأتباع في الأناضول منذ عهد السلطان "جنيد"، وقد كان هؤلاء الأتباع شوكة في جنب الدولة العثمانية، وسببا مـن أسـباب نشوب الصراع بين الدولتين .

(٨) كان للشاه إسماعيل دور بارز في إشعال فتنة الشيعة في الأناضـول تحـت زعامة " شاه قولي"، وقد اتضح ذلك للدولة العثمانية، وكان ذلك بداية لتـوتر علاقة البلدين.

(٩) كان للمؤسسة العسكرية دور بارز في تولى السلطان سليم السلطنة خلفا لأبيه، فقد قامت بضغوط كبيرة على " بايزيد" للإذعان لها، وتمكنت من تحقيق مـا أرادت.

(١٠) تعددت أسباب الصراع العثماني ـ الصفوى، لكن السبب الأبرز ما كان يقوم

به الشاه إسماعيل من إثارة الشيعة في الأناضول بصورة مستمرة، وكان آخرها إرساله الداعى " نور على خليفة " لإحداث البلبلة والتوتر في الأناضول.

(١١) لم يكن الشاه إسماعيل مستعدا للدخول في حرب مع العثمانيين ، لكنه اضطر إليها اضطرارا، وقد نتج عن ذلك هزيمته في هذه المعركة .

(١٢) كان لسلاح المدفعية دور كبير وحاسم في الصراع الذي دار بين الفريقين في چالديران ، فقد حسم المعركة لصالح العثمانيين بعد أن كادت أن تحسم لصالح الصفويين.

(١٣) تعددت النتائج التي ترتبت على معركة چالديران، لكن على الرغم من ذلك فإن هذه المعركة لم تكتب النهاية لدولة الشاه في إيران، فقد كانت دعائم الملك الصفوى التي أقامها الشاه على أساس مذهبي قوية راسخة بحيث ضمنت للدولة الصفوية الاستمرار والبقاء.

* * *

الهوامش

(١) يتوافق هذا العنوان مع الواقع التاريخي لكلتا الدولتين في فترة الدراسة؛ فقد كانت الدولة الصفوية في طور القيام والتمكين، وكانت الدولة العثمانية في طور ازدهارها ومجدها السياسي.

(٢) هي دولة المماليك البرجية أو الجراكسة، قامت عام ٧٨٤هـ/١٣٨٢م عندما تولى الظاهر برقوق الحاكم بعد أن خلع " أمير حاجي " آخر أحفاد الناصر محمد بن قلاوون، وقد استمرت هذه الدولة حتى عام ٩٢٢هـ/١٥١٧م.

انظر: د/سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٩٤م، ص ١٥٨. وانظر: د/قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، سنة ٢٠٠٧م، ص ١٤٦.

(٣) ذكرت بعض المصادر أن نسب الصفويين يعود إلى آل البيت انظر على سبيل المثال: خواندمير، حبيب السير في أخبار البشر، انتشارات كتابخانهٔ خيام، د ت، ج٤، ص٤٠٩، ٤١٠. و: بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، عربه: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة ١٣، سنة ١٩٩٨م ص ٤٩٣. و: براون ، تاريخ الأدب في إيران من بداية الحكم الصفوي حتى نهاية الحكم القاجاري، نقله إلى الفارسية: رشيد ياسمي، وترجمه إلى العربية: د/محمد علاء الدين منصور، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، سنة ٢٠٠٢م ، ج٤،ص ٢٧. لكن هذه الآراء لا تثبت أمام كثير من الأدلة التي تنفي عن الصفويين هذه النسبة وتؤكد على أنهم مجرد أسرة تركية شأنها شأن الأسر التركية التي حكمت إيران قبلها . انظر في تفصيل تلك المسألة: ممدوح رمضان أحمد ، الحياة السياسية والمذهبية للدولة الصفوية في عهد الشاه إسماعيل الصفوي، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، سنة٢٠٠٩م، لم تنشر، من ص ٦٣ إلى ص ٧٠.

(٤) براون، مرجع سابق، ج٤، ص٤٩.

(٥) ميشل مزاوي، أضواء على العلاقات الفكرية في العالم الإسلامي، ترجمه إلى الفارسية: يعقوب آژند، ونقله إلى العربية عن الفارسية وقدم له وعلق عليه: د/أحمد الخولي، دار الفكر العربي، القاهرة، سنة ٢٠٠٦م. ص١٢٥.

(٦) بطروشوفسكى ، الإسلام في إيران، ترجمة د/السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة ١٩٨٢م. ص٣٦٣.

(٧) الآق قويونلو، والقراقويونلو، لفظتان تركيتان تعنى الأولى " الشاه البيضاء "، والثانية " الشاه السوداء"، وذلك يعود إلى اقتناء قبيلة الآق قويونلو شياها بيضا، الآق قويونلو شياها

سودا فنسبتا إليها انظر : عباس العزاوى، تاريخ العراق بين احتلالين، مطبعة التفيض الأهلية، العراق، سنة ١٩٣٩م، ج٣، ص ٢٤.

(٨) توفيق حسين فوزى، رؤية الوثائق والمصادر التركية للصراع العثماني الصفوي ومقدماته في عهدي بايزيد الثاني وسليم الأول، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، سنة ١٩٨٦م، غير منشورة ، ص٢٢.

(٩) ميشل مزاوى، مرجع سابق، ص ١٥٥.

(١٠) ممدوح رمضان أحمد، مرجع سابق، ص ٥٢.

(١١) توفيق حسن فوزى، مرجع سابق، ص ٢٣.

(١٢) غلام سرور ، تاريخ شاه اسماعيل صفوي، ترجمه محمد باقر آرام، عباسقلي غفاري فرد، مركز نشر دانشگاهي، تهران، ١٣٧٤ هـ ش ص ٣٤، ص٣٤.

(١٣) خواندمير، مرجع سابق، ج٤،ص٤٤١.

(١٤) أحمد الخولي، الدولة الصفوية تاريخها السياسى وعلاقتها بالعثمانيين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة ١٩٨١م، ص ٥٠.

(١٥) ميرزا محمد معصوم، تاريخ سلاطين صفويه، بسعي واهتمام د/ سيد امير عابد، تهران، سنة ١٣٥١ هـ ش، ص ٨.

(١٦) أحمد الخولي، مرجع سابق، ص٤٧.

(١٧) عباس حسن الموسوى، وكمال السيد، نشوء وسقوط الدولة الصفوية، مكتبة فدك، قم، سنة ٢٠٠٥م، ص٣٤.

(١٨) خواندمير، مرجع سابق، ج٤، ص٣٦٦.

(١٩) د/ أحمد الخولي، مرجع سابق، ٥٢.

(٢٠) وفاء عبد الحميد محمد، أثر النظام الإدارى على سقوط الدولة الصفوية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، سنة ١٩٩٨م، غير منشورة.ص ٥.

(٢١) محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق د/إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الخامسة عام ١٩٨٦م.ص ١١٥.وانظر: د/إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، السعودية، الطبعة الثالثة، سنة ٢٠٠٢م، ص ١٠.

(٢٢) د/ سيد محمد السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية(النشأة ـ الازدهار)، وفق المصادر العثمانية المعاصرة والدراسات التركية الحديثة، نشر مكتبة الآداب، القاهرة، سنة ٢٠٠٧م، ص ٢١٤.

(٢٣) د/ إسماعيل أحمد ياغي، مرجع سابق ، ص ٤٧،٤٨.

(٢٤) د/سيد محمد السيد محمود، مرجع سابق، ص ٢١٤.

(٢٥) د/أحمد الخولي، مرجع سابق، ص ٦٨. وانظر: د/محمود السيد، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، سنة ١٩٩٩م، ص ٢٩٩.

(٢٦) محمد فريد بك، مرجع سابق، ص ١٨٠.

(٢٧) توفيق حسن فوزى، مرجع سابق ص ٥١.

(٢٨) عبدالرضا هوشنگ مهدوى، تاريخ روابط خارجى ايران از ابتداى دوران صفويه تا پايان جنگ دوم جهانى، ص ١٦.

(٢٩) عبد الرضا هوشنگ مهدوى ، مرجع سابق، ص ١٦

(٣٠) ممدوح رمضان أحمد، مرجع سابق، ص ٤٩. والحاكم الذي أمر بطرده هو " جهانشاه بن قرايوسف" زعيم أسرة الآق قويونلو التي كانت تسيطر على كثير من أراضى إيران في تلك الفترة.

(٣١) والتر هينتس، تشكيل دولت ملى در ايران حكومت آق قويونلو وظهور دولت صفوي، ترجمة: كيكاوس جهانداري، شركت سهامي، انتشارات خوارزمي، چاپ سوم، تهران، ١٣٦٢هـ ش،ص٢٠. وقد عاد " جنيد"بعد ذلك إلى إيران بعد أن زال حكم القراقويونلو وحلت محلهم أسرة الآق قويونلو بزعامة "أوزون حسن". انظر: ممدوح رمضان أحمد، مرجع سابق، ص ٥٠.

(٣٢) جعفر المهاجر، الهجرة العاملية إلى إيران، أسبابها التاريخية ونتائجها الثقافية والسياسية، دار الروضة، بيروت سنة ١٩٨٩م، ص ٢١.

(٣٣) رسول جعفريان، صفويه در عرصه دين، فرهنگ وسياست، ناشر پژوهشكدهٔ حوزه ودانشگاه، قم، ١٣٧٩هـ ش.، ج١، ص٣٦.

(٣٤) د/ صديق صفي زاده، تاريخ پنج هزار سالهٔ ايران، تهران.د.ت.، ج٢،ص ١٦٠٥.

(٣٥) توفيق حسن فوزى، مرجع سابق ، ص ٥٢.

(٣٦) توفيق حسن فوزي، مرجع سابق، ص ١٥١.

(٣٧) توفيق حسن فوزى، مرجع سابق، ص ١٥٢.

(٣٨) توفيق حسن فوزي، مرجع سابق، ص ١٥٣.

(٣٩) نيقولا ڤاتان، الفصل الثالث من كتاب: تاريخ الدولة العثمانية، إشراف: روبير مانتران، ترجمة: بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والتوزيع، القاهرة، سنة ١٩٩٣م، ص ١٦٤.

(٤٠) أسرة " ذو القدر " أسرة تركمانية ــ على أرجح الأقوال ــ حكمت في مرعش وألبستان وملطية وخربوت من عام ٧٤٠ـ٩٢٨هـ/١٣٣٩ـ١٥٢١م، ومع أنهم كانوا داخلين بحكم موقعهم الجغرافي في منطقة نفوذ المماليك والعثمانيين، إلا أنهم كانوا يمثلون حكما مستقلا.

أما علاء الدولة فإنه يعد أشهر حكام هذه الأسرة، وقد تولى الحكم سنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م، وبالرغم من أن العثمانيين قد ساعدوه في تولى الحكم، إلا أنه قد اتخذ موقفا معاديا لهـم، لهذا عده العثمانيون خائنا، وانتهت حياته بعد حرب چالديران سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤. انظر: ممدوح رمضان أحمد، مرجع سابق، ص ٩٣.

(٤١) د/ عباس إسماعيل صباغ، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، دار النفائس، بيروت، سنة ١٩٩٩م، ص ٤٧.

(٤٢) توفيق حسن فوزى، مرجع سابق، ص ١٥٤.

(٤٣) د/ أحمد الخولي، مرجع سابق، ص ٧٠.

(٤٤) عبد الحسين نوائى، شاه اسماعيل صفوي (اسناد ومكاتبات تاريخي همراه بایاد داشتهاي تفصيلي)، انتشارات بنياد فرهنـگ ايران، تهران، ١٣٤٧هـ ش، ص ٦٤،٦٣.

(٤٥) كلمة "قولى " كلمة تركية تعنى العبد أو الأسير. انظر: د/مكرم عبد الفتاح نوفل، القاموس التركى الثلاثي، القاهرة سنة ٢٠٠٤م، (لا يوجد مكان النشر)،ص ١٩٠. وقد أطلق هذا الرجل ذلك اللقب على نفسه ليعبر عن منتهى التبعية للشاه، فالكلمة تعنى " عبد الشاه "، والطريف أن الأتراك يطلقون عليه " شيطان قولى " أى عبد الشيطان . (انظر : براون ، مرجع سابق، ج٤،ص٧١).

(٤٦) د/محمد عبد اللطيف هريدى، الحروب العثمانية الفارسية وأثرهـا فـي انحـسار المـد الإسلامي عن أوروبا، دار الصحوة،القاهرة، سنة ١٩٨٧م، ص ٤٦.

(٤٧) ممدوح رمضان أحمد، مرجع سابق، ص ١٤٢.

(٤٨) د/ نبيل عبد الحى رضوان، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العـصر الحديث، مكتبة الطالب الجامعي، مكة، سنة ١٩٨٨م ، ص ١٤٤.

(٤٩) د/ إبراهيم الدسوقى شتا، أثر الصراع المذهبى بين الشاه إسماعيل الصفوى والسلطان سليم في الأدب الفارسي، ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، سنة ١٩٦٧م، غير منـشورة، ص ٣٠.

(٥٠) د/ محمد عبد اللطيف هريدى، مرجع سابق، ص ٤٧.

(٥١) نيقولاى إيفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية ١٥١٦ ـــ ١٥٧٤م، ترجمة: يوسـف عطا الله، راجعة: د/مسعود ضاهر، دار الفارابي، بيروت، سنة ١٩٨٨م، ص ٣٥.

(٥٢) د/ أحمد الخولي، مرجع سابق، ص ٧١.

(٥٣) كلمة أوزبك كلمة مغولية تعني " سيد نفسه أو المستقل " انظر: أرمنيوس فامبرى، تـاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة د/ أحمـد محمـود الـساداتى، مراجعة وتقديم: د/يحيى الخشاب، مكتبة نهضة الشرق، الطبعة الثانية، القـاهرة، سـنة

١٩٨٧م، هامش٢، ص ٢٩٦، وقد عُرفوا بهذا الاسم نسبة إلى " أوزبك خان" وهو من أعقاب "جوجى بن جنكيز خان "، وقد دخل كثر من الأوزبك الإسلام في عهد أوزبك خان هذا. انظر: عباسقلى غفارى فرد، روابط صفويه واوزبكان (٩١٣ ـ ١٠٣١هـ) مؤسسة چاپ وانتشارات وزارت امور خارجه، تهران، ١٣٧٦هـ ش ، ص ٣٩.

وقد استطاع الأوزبك أن يقيموا لهم دولة في بلاد ما وراء النهر على حساب أملاك الدولة التيمورية، وذلك تحت قيادة محمد شيبانى الشهير بـ " شيبك خان " ، وتمكنوا من السيطرة على خراسان، و تاخمت حدودهم حدود الدولة الصفوية، ولهذا اشتعل صراع مسلح بين الفريقين انتهى بهزيمة " محمد شيبانى " على يد الشاه إسماعيل وذلك في عام ٩١٦هـ/ ١٥١١م. انظر في تفصيل ذلك الكلام : فامبرى ، مرجع سابق ، من ص ٢٩٧ إلى ص ٣٣٦. و: رضا قلي خان هدايت، تاريخ روضة الصفاى ناصرى، ، تصحيح وتحشيه : جمشيد كيان فر، انتشارات اساطير، تهران، سنة ١٣٨٠ هـ ش، ج ١٢، من ص ٦٣٦٨ إلى ص ٦٣٧٢، و: عباسقلى غفارى فرد ، مرجع سابق، من ص ٤٠ إلى ص ١٢٠، و: د/ عبد العزيزنوار، تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، سنة ١٩٩٨م.من ص ١٩٠ إلى ص ١٩٢، و ممدوح رمضان أحمد ، مرجع سابق، من ص ١١٧ إلى ص ١٢٧.

(٥٤) على اكبر ولايتى، تاريخ روابط خارجي ايران در عهد شاه اسماعيل صفوي، موسسة چاپ وانتشارات وزارت امور خارجه، تهران ١٣٧٥ هـ ش ، ص ٦٣.

(٥٥) د/ أحمد الخولي، مرجع سابق ، ص ٧٢. و: على اكبر ولايتى، مرجع سابق، ص ١١٠.

(٥٦) د/ أحمد فؤادمتولى،ود/ هويدا محمد فهمى، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتهاوحتى نهاية العصر الذهبى، إيترك للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة ٢٠٠٢م، ص ١٨٠.

(٥٧) توفيق حسن فوزى، مرجع سابق، ص ٧٨.

(٥٨) الانكشارية كلمة تركية تعنى " الجندى الجديد" وهو اسم أطلق على فرق المشاة النظاميين التي تشكلت في عهد السلطان مراد الأول (٧٦١ـ٧٩١هـ/١٣٥٩ـ١٣٨٩م)، ومن الجدير بالذكر أن الانكشارية يطلق عليها " العساكر البكتاشية " نسبة إلى الطريقة الصوفية البكتاشية التي كانت مقرها " أماسيا" بالأناضول . انظر: د/ سونيا محمد سعيد فرقة الانكشارية نشأتها ودورها في الدولة العثمانية، من خلال المصادر التركية، إيترك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، سنة ٢٠٠٦م ص ١٣. وانظر: كليمان هوار، الإنكشارية، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: أحمد الشنتناوي، وإبراهيم زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس، دار المعرفة، بيروت، د ت، المجلد الثالث، ص ٧٦.

(٥٩) جان ــ لوي باكي ــ جرامون: الفصل الخامس من كتاب "تاريخ الدولة العثمانية،إشراف روبير مانتران، ترجمة: بشير السباعى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، مصر ١٩٩٣م،ج١،ص ٢٠٨.

(٦٠) توفيق حسين فوزى، مرجع سابق، ص ٧٩.

(٦١) إسماعيل حقى أوزون، تاريخ عثمانى، ترجمة د/ ايرج نوبخت، انتشارات كيهان، تهران، ١٣٦٩ هـ ش، ج٢، ص ٢٥٦.

(٦٢) إسماعيل حقى أوزون، مرجع سابق، ج٢، ص ٢٥٩.

(٦٣) د/ سيد محمد السيد، مرجع سابق، ص ٢٢٩.

(٦٤) توفيق حسن فوزى، مرجع سابق، ص ٨٤،٨٣.

(٦٥) محمد فريد بك، مرجع سابق، ص ١٨٧.

(٦٦) د/ أحمد فؤاد متولى، د/ هويدا محمد فهمى، مرجع سابق، هامش (٢)، ص ١٨١.

(٦٧) غلام سرور، مرجع سابق، ٩٢.

(٦٨) ممدوح رمضان أحمد، مرجع سابق، ص ١٤٩.

(٦٩) عبد الرضا هوشنگ مهدوى، مرجع سابق، ص ١٨.

(٧٠) د/ أحمد الخولي، مرجع سابق، ص ٧٢.

(٧١) د/أحمد الخولي، مرجع سابق، ص ٧٣.

(٧٢) محمد فريد بك، مرجع سابق، ص ١٨٩.

(٧٣) عبد الرضا هوشنگ مهدوى، مرجع سابق ص ١٩. وانظر: عباس حسن الموسوى،وكمال السيد، مرجع سابق، ص ٤٢.

(٧٤) د/ أحمد الخولي، مرجع سابق، ص ٧٥.

(٧٥) چالديران أو چالديران أو تشالديران، اسم لواد يقع في شمال غرب آذربايجان، ويبعد عن تبريز حوالى عشرين فرسخا، وقد سميت بأسمه المعركة التي دارت فيه بين العثمانيين والصفويين .

(٧٦) عبد الحسين نوائى، مرجع سابق، ص ١٤٥،١٤٤. وانظر: توفيق حسن فوزى، مرجع سابق، ص ١٦٣.

(٧٧) عبد الحسين نوائى، مرجع سابق، ص ١٤٥. وانظر: توفيق حسن فوزي، السابق نفسه.

(٧٨) د/ أحمد الخولي، مرجع سابق، ص ٨٦.

(٧٩) انظر النص الكامل للرسالة: على اكبر ولايتى، مرجع سابق، من ص ١٤٥ إلى ص ١٤٨. وانظر: عبد الحسين نوائى، مرجع سابق، من ص ٥٧ إلى ص ١٦١.

(٨٠) عبد الحسين نوائى، مرجع سابق، ص ١٦٧.

(٨١) على اكبر ولايتى، مرجع سابق، ص ١٥٧.وانظر: توفيق حسن فوزى، مرجع سابق، ص ١٦٩.

(٨٢) غلام سرور، مرجع سابق، ص ٩٧. وانظر: إسماعيل حقي أوزون، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٨٤.

(٨٣) د/ أحمد فؤاد متولى، و د/ هويدا محمد فهمى، مرجع سابق، ص ١٨٨.

(٨٤) إسماعيل حقى أوزون، مرجع سابق، ج٢، ص٢٨٥.

(٨٥) د/ صديق صفي زاده، تاريخ پنج هزار سالهٔ ايران، تهران.د.ت.ايران ، ج٢، ص ١٥٩٤. وانظر: توفيق حسن فوزى، مرجع سابق، ص ١٦٩،١٧٠.

(٨٦) د/ أحمد الخولي، مرجع سابق، ص٧٧.

(٨٧) ممدوح رمضان أحمد، مرجع سابق، ص ١٥٩.

(٨٨) د/ أحمد فؤادمتولى، د/ هويدا محمد فهمى، مرجع سابق، ص ١٨٨.

(٨٩) د/ محمد عبد اللطيف هريدى، مرجع سابق، ص ٥٣.

(٩٠) د/ ذبيح الله صفا، تاريخ ادبيات در ايران، انتشارات فردوس، تهران، چاپ نهم، ١٣٧٢ هـ ش، ج٢، ص ٢٧. وانظر: عباس إقبال: تاريخ ايران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية ٢٠٥هـ/٨٢٠م ـ ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م، نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه: د/محمد علاء الدين منصور، راجعه: د/السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة ١٩٩٠م، ص ٦٤٥.

(٩١) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سليمان، مراجعة: د/محمود الأنصاري، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، سنة ١٩٨٨م، ص ٢١٥. وانظر: د/ سيد محمد السيد، مرجع سابق، ص ٢٣٨.

(٩٢) د أحمد الخولي، مرجع سابق، ص ٧٨. وانظر: على اكبر ولايتى، مرجع سابق، ص ١٦١.

(٩٣) د/ ذبيح الله صفا، مرجع سابق، ج٤، ص ٢٧. وانظر: عباس إقبال، مرجع سابق، ص ٦٤٥. و: حسين عماد زاده اصفهانى، تاريخ مفصل اسلام، انتشارات اسلام، تهران، چاپ هفتم،١٣٧٠هـ ش، ص ٩٥٨. و: صديق صفي زاده، مرجع سابق، ج٢، ص ١٥٩٤.

(٩٤) ممدوح رمضان أحمد، مرجع سابق، ص ١٦٠.

(٩٥) عباس حسن الموسوى، وكمال السيد، مرجع سابق، ص ٤٣.

(٩٦) د/ إبراهيم الدسوقى شتا، مرجع سابق، ص ٣٧.

(٩٧) يصف " ابن زنبل" هذه الموقعة بقوله: " ثم سافر السلطان سليم إلى ملاقاة شاه إسماعيل، ووقع الاتفاق بينهما بأن يبطل النار، ويقاتل بالسيف والعود، فلم يلبث السلطان سليم غير

ساعة، وولى عسكره منهزمًا؛ لأن الروم لا قدرة لهم على ملاقاة الفرس من غير نار، فعند ذلك أمر أغاة اليكنجرية { يقصد الانكشارية } أن يرموا بالنار، فما كان إلا ساعة انهـزم شاه إسماعيل، فإن النار لا يطيقها أحد ". انظر: واقعة السلطان الغوري مع سـليم الأول، تحقيق عبد المنعم عامر، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٩٧م، ص ٢٣.

(٩٨) البدليسي، شرفنامه، ترجمة: محمد علي عوني، راجعة وقدم له: د/يحيـى الخـشاب، دار إحياء الكتب العربية، سنة ١٩٦٢م ، ج٢، ص ١٤٠.

(٩٩) عباس إقبال، مرجع سابق، ص ٦٤٦.

(١٠٠)القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ص ٣١٤.

(١٠١)توفيق حسن فوزى ، مرجع سابق، ص ١٢٨.

(١٠٢)براون، مرجع سابق، ج ٤، ص ٧٦.

(١٠٣)د/ أحمد الخولي، مرجع سابق، ص ٧٩. وانظر: يلماز أوزوتونـا، مرجـع سـابق، ص ٢١٨.

(١٠٤) البدليسى، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٤٠، وانظر: القرمانى، مرجع سابق، ص ٣١٤.

(١٠٥)توفيق حسن فوزى، مرجع سابق، ص ١٣٠

(١٠٦)ممدوح رمضان أحمد، مرجع سابق، ص ١٦٣.

(١٠٧)براون، مرجع سابق، ج٤، ص ٧٧. وانظر: أحمد الخـولي، مرجـع سـابق، ص ٨٠. وانظر: عبد الرضا هوشنگ مهدوى، مرجع سابق، ص ٢١.

(١٠٨)معالى محمد محمد أمين زكى بك، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن، ترجمة محمد على عونى، مطبعة السعادة، القاهرة، سنة ١٩٣٩م، ص ١٧٦، ١٧٧. وانظر: دونالد كواترات، الدولة العثمانية، تعريب أيمن أرمنازى، مكتبة العبيكان، السعودية، سنة ٢٠٠٤م.ص ٢١.

(١٠٩)د/ سيد محمد السيد، مرجع سابق، ص ٢٣٩.

(١١٠) غلام سرور، مرجع سابق، ص ١٠٧.

(١١١)ممدوح رمضان أحمد، مرجع سابق، ص ١٦٧.

(١١٢)عباس إقبال، مرجع سابق، ص ٦٤٦.

(١١٣)د/ محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربـي (١٥١٤ ــ ١٩١٤م)، مكتبـة الأنجلـو المصرية، القاهرة، سنة ١٩٨٥م ، ص ١٠٧. ولنظر: عباس العزاوى، مرجع سابق، ج٣، ص ٣٥٣. وانظر: د/ عبدالعزيز نوار، مرجع سابق، ص ١٨٨.

(١١٤)رضا قلى خان هدايت، مرجع سابق، ج ١٢، هامش (١)، ص ٦٣٨١.

(١١٥)على اكبر ولايتى، مرجع سابق، ص ١٩٢. وانظر: صديق صفي زاده، مرجع سابق، ج٢، ص ١٦١٠.

(١١٦)سرجان ملكم، تاريخ كامل ايران، ترجمه: ميرزا اسماعيل حيرت، انتشارات افسون، تهران، ١٣٨٠ هـ ش، ص ٣٤٢، ٣٤٣.

(١١٧)عباس حسن الموسوى، وكمال السيد، مرجع سابق، ص ٤٥. وانظر: جعفر مهدى نيا، سلطنت ٢٥٧ پادشاه در ايران، انتشارات پاسارگار، تهران، ١٣٨٠ هـ ش .ج٢، ص ٢٦٣.

(١١٨)محمد فريد بك، مرجع سابق ، ص ١٧٩. وقد ذكر العيدروسي أنه توفي في عام ٩٢٤هـ وهذا بعيد عن الصواب. انظر: تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر،صححه وضبطه،محمد رشيد أفندي، نشر المكتبة العربية، بغداد، سنة١٩٣٤م، ص١١٩.

(١١٩)براون، مرجع سابق، ج٤، ص ٧٩.

(١٢٠)ممدوح رمضان أحمد، مرجع سابق، ص ١٧١.

قائمة المصادر والمراجع

أولا المصادر العربية:

(١) البدليسي (شرف خان ت١٠٠٥هـ/١٥٩٦م)

ـ شرفنامه، ترجمة: محمد علي عوني، راجعة وقدم له: يحيى الخشاب (دكتور)، دار إحياء الكتب العربية، سنة ١٩٦٢م.

(٢) ابن زنبل (الشيخ أحمد الرمال ت ٩٦٠ هـ)

ـ واقعة السلطان الغوري مع سليم الأول، تحقيق عبد المنعم عامر، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٩٧م

(٣) العيدروسي (شمس الشموس محيي الدين عبد القادر بن عبد الله)

ـ تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، صححه وضبطه: محمد رشيد أفندي الصفار، نشر المكتبة العربية، بغداد، سنة ١٩٣٤م.

(٤) القرماني (أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي ت١٠١٩هـ)

ـ أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

ثانيا: المصادر الفارسية:

(٥) خواندمير (غياث الدين بن همام الدين الحسيني): حبيب السير في أخبار البشر، انتشارات كتابخانهٔ خيام، د ت.

(٦) رضا قلي خان هدايت : تاريخ روضة الصفاي ناصري، تصحيح وتحشيه : جمشيد كيان فر، انتشارات اساطير، تهران، سنة ١٣٨٠ هـ ش.

(٧) ميرزا محمد معصوم : تاريخ سلاطين صفويه، بسعي واهتمام سيد امير عابد (دكتر)، تهران، سنة ١٣٥١ هـ ش.

ثالثا: المراجع العربية والمعربة

(٨) أحمد الخولي (دكتور): الدولة الصفوية، تاريخها السياسي والاجتماعي، علاقتها بالعثمانيين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة ١٩٨١م.

(٩) أحمد عبدالرحيم مصطفى (دكتور): في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ٢٠٠٣م.

(١٠) أحمد فؤاد متولي (دكتور)، وهويدا محمد فهمي (دكتورة): تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، ايترك للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة ٢٠٠٢م.

(١١) إدوارد جرانفيل براون، تاريخ الأدب في إيران:

ـ الجزء الرابع، تاريخ الأدب في إيران من بداية الحكم الصفوي حتى نهاية الحكم القاجاري، نقله إلى الفارسية: رشيد ياسمي، وترجمه إلى العربية: محمد علاء الدين منصور(دكتور)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، سنة ٢٠٠٢م.

(١٢) أرمنيوس فامبري: تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة: أحمد محمود الساداتي (دكتور)، مراجعة وتقديم: يحيى الخشاب (دكتور)، مكتبة نهضة الشرق، الطبعة الثانية، القاهرة، سنة ١٩٨٧م.

(١٣) إسماعيل أحمد ياغي (دكتور): الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، السعودية، الطبعة الثالثة، سنة ٢٠٠٢م.

(١٤) بطروشوفسكي: الإسلام في إيران، ترجمة: السباعي محمد السباعي(دكتور)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة ١٩٨٢م.

(١٥) جان ـ لوي باكي ـ جرامون: الفصل الخامس من كتاب "تاريخ الدولة العثمانية (ج١) إشراف روبير مانتران، ترجمة: بشير السباعى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، مصر ١٩٩٣م.

(١٦) جعفر المهاجر: الهجرة العاملية إلى إيران أسبابها التاريخية، ونتائجها الثقافية والسياسية، دار الروضة، بيروت سنة ١٩٨٩م.

(١٧) دونالد كواترات: الدولة العثمانية، تعريب: أيمن أرمنازي، مكتبة العبيكان، السعودية، سنة ٢٠٠٤م.

(١٨) سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور): العصر المماليكي في مصر والشام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٩٤م.

(١٩) سونيا محمد سعيد البنا (دكتورة): فرقة الإنكشارية نشأتها ودورها في الدول العثمانية من خلال المصادر التركية، إيترك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، سنة ٢٠٠٦م.

(٢٠) سيد محمد السيد محمود (دكتور): تاريخ الدولة العثمانية " النشأة ــ الازدهار" وفق المصادر العثمانية المعاصرة والدراسات التركية الحديثة، نشر مكتبة الآدب، القاهرة، سنة ٢٠٠٧م.

(٢١) عباس إسماعيل صباغ (دكتور): تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، دار النفائس، بيروت، سنة ١٩٩٩م.

(٢٢) عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية ٢٠٥هـ/٨٢٠م ــ ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م، نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه: محمد علاء الدين منصور (دكتور)، راجعه: السباعي محمد السباعي (دكتور)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة ١٩٩٠م.

(٢٣) عباس حسن الموسوي، وكمال السيد: نشوء وسقوط الدولة الصفوية، مكتبة فدك، قم، سنة ٢٠٠٥م.

(٢٤) عباس العزاوي (المحامي): تاريخ العراق بين احتلالين، مطبعة التفيض الأهلية، العراق، سنة ١٩٣٩م.

(٢٥) عبد العزيز سليمان نوار (دكتور): تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، سنة ١٩٩٨م.

(٢٦) قاسم عبده قاسم(دكتور): عصر سلاطين المماليك، التاريخ السياسي والاجتماعي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، سنة ٢٠٠٧م.

(٢٧) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، عربه: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة ١٣، سنة ١٩٩٨م.

(٢٨) كليمان هوار، الإنكشارية، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثالث، ترجمة: أحمد الشنتناوي، وإبراهيم زكي خورشيد، وعبدالحميد يونس، راجعه: محمد

مهدي علام(دكتور)، دار المعرفة، بيروت، د ت.

(٢٩) محمد أنيس (دكتور): الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤ ــ ١٩١٤م)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة ١٩٨٥م.

(٣٠) محمد عبد اللطيف هريدي (دكتور): الحروب العثمانية الفارسية وأثرها فى انحسار المد الإسلامي عن أوروبا، دار الصحوة،القاهرة، سنة ١٩٨٧م.

(٣١) محمد فريد بك (المحامي): تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي (دكتور)، دار النفائس، بيروت، الطبعة الخامسة عام ١٩٨٦م.

(٣٢) محمود السيد (دكتور): تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، سنة ١٩٩٩م.

(٣٣) مكرم عبد الفتاح نوفل (دكتور): القاموس التركي الثلاثي، القاهرة سنة ٢٠٠٤م، (لا يوجد مكان النشر).

(٣٤) معالي محمد محمد أمين زكي بك: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن، نقله إلى العربية: محمد علي عوني، مطبعة السعادة، القاهرة، سنة١٩٣٩م.

(٣٥) ميشل م.مزاوي: أضواء على العلاقات الفكرية في العالم الإسلامي، ما بين سقوط الخلافة العباسية وقيام الدولة الصفوية (٦٥٦ ــ ٩٠٦ هـ/ ١٢٥٠ ــ ١٥٠٠م)، ترجمه إلى الفارسية: يعقوب آژند، ونقله إلى العربية عن الفارسية وقدم له وعلق عليه: أحمد الخولي (دكتور)، دار الفكر العربي، القاهرة، سنة ٢٠٠٦م.

(٣٦) نبيل عبد الحي رضوان (دكتور): جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده فى مطلع العصر الحديث، مكتبة الطالب الجامعي، مكة، سنة ١٩٨٨م.

(٣٧) نيقولا ڤاتان: الفصل الثالث من كتاب: تاريخ الدولة العثمانية، إشراف: روبير مانتران، ترجمة: بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والتوزيع، القاهرة، سنة ١٩٩٣م.

(٣٨) نيقولاي ايڤانوف: الفتح العثماني للأقطار العربية ١٥١٦ ــ ١٥٧٤م ترجمة:

يوسف عطا الله، راجعة: مسعود ضاهر (دكتور)، دار الفارابي، بيروت، سنة ١٩٨٨م.

(٣٩) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سليمان، مراجعة: محمود الأنصاري (دكتور)، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، سنة ١٩٨٨م.

رابعا: المراجع الفارسية:

(٤٠) إسماعيل حقي أوزون، تاريخ عثماني، ترجمه ايرج نوبخت (دكتر)، انتشارات كيهان، تهران، ١٣٦٩ هـ ش.

(٤١) جعفر مهدي نيا: ـ سلطنت ٢٥٧ پادشاه در ايران، انتشارات پاسارگار، تهران، ١٣٨٠ هـ ش .

(٤٢) حسين عماد زاده اصفهاني: تاريخ مفصل اسلام، انتشارات اسلام، تهران، چاپ هفتم، ١٣٧٠هـ ش.

(٤٣) ذبيح الله صفا (دكتر): تاريخ ادبيات درايران، انتشارات فردوس، تهران، چاپ نهم، ١٣٧٢ هـ ش.

(٤٤) رسول جعفريان: ـ صفويه در عرصه دين، فرهنگ وسياست، ناشر پژوهشكدهٔ حوزه ودانشگاه، قم، ١٣٧٩هـ ش.

(٤٥) سرجان ملكم: تاريخ كامل ايران، ترجمه ميرزا اسماعيل حيرت، انتشارات افسون، تهران، ١٣٨٠ هـ ش.

(٤٦) صديق صفي زاده (دكتر): تاريخ پنج هزارسالهٔ ايران، تهران.د.ت.

(٤٧) عباسقلي غفاري فرد: روابط صفويه واوزبكان (٩١٣ ـ ١٠٣١هـ) مؤسسهٔ چاپ وانتشارات وزارت امور خارجه، تهران، ١٣٧٦هـ ش.

(٤٨) عبد الحسين نوائي: شاه اسماعيل صفوي (اسناد ومكاتبات تاريخي همراه باياد داشتهاي تفصيلي)، انتشارات بنياد فرهنگ ايران، تهران، ١٣٤٧هـ ش.

(٤٩) عبد الرضا هوشنـــگ مهدوي: تاريخ روابط خارجي ايران از ابتداي دوران صفويه تاپايان جنـــگ دوم جهاني ١٥٠٠ ــ ١٩٤٥، چاپ ششم، مؤسسهٔ انتشارات امير كبير، تهران، ١٣٧٧ هــ ش.

(٥٠) علي اكبر ولايتي: تاريخ روابط خارجي ايران در عهد شاه اسماعيل صفوي، موسسهٔ چاپ وانتشارات وزارت امور خارجه، تهران ١٣٧٥ هــ ش.

(٥١) غلام سرور: تاريخ شاه اسماعيل صفوي، ترجمه محمد باقر آرام، عباسقلي غفاري فرد، مركز نشر دانشـــگاهي، تهران، ١٣٧٤ هــ ش.

(٥٢) والترهينتس: تشكيل دولت ملي در ايران حكومت آق قوينلو وظهور دولت صفوي، ترجمة كيكاوس جها نداري، شركت سهمامي انتشارات خوارزمي، چاپ سوم، تهران، ١٣٦٢هــ ش.

خامسا: الرسائل العلمية:

(٥٣) إبراهيم الدسوقي شتا، أثر الصراع المذهبي بين شاه إسماعيل الصفوي والسلطان سليم العثماني في الأدب الفارسي، ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، سنة ١٩٦٧م، غير منشورة.

(٥٤) توفيق حسن فوزي، رؤية الوثائق والمصادر التركية للصراع العثماني الصفوي ومقدماته في عهدي بايزيد الثاني وسليم الأول، ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، سنة ١٩٨٦م، غير منشورة.

(٥٥) ممدوح رمضان أحمد، الحياة السياسية والمذهبية للدولة الصفوية في عهد الشاه إسماعيل الصفوي ٩٠٦ــ٩٣٠هــ/١٥٠٠ــ١٥٢٤م، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، سنة ٢٠٠٩م، لم تنشر.

(٥٦) وفاء عبد الحميد محمد، أثر النظام الإداري على سقوط الدولة الصفوية، ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، سنة ١٩٩٨م، غير منشورة.